
الاسكندر
الأكبر



سلسلة « أعلام ومشاهير »
باشراف الدكتور رءوف سلامة موسى
بدار ومطابع المستقبل



عن دراستي

فوكس وبيرن

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومؤسسة المعارف
للطباعة والنشر ببيروت

ولادة الاسكندر فى بيـلا

ولد الاسكندر الأكبر Alexander the Great فى بيلا ، بمقدونيا ، صيف عام ٣٥٦ ق م . وقد جاء الخبر إلى والده ، الملك والبطل المقدونى فيليب Philip فى الوقت الذى أتم فيه فيليب انتصاره على أعدائه التراسيين فى بوتيديا . فجاءه الرسل يعلنونه أن قائده بارمينيون Parmenion قد انتصر هو الآخر على الايلريين فى الشمال . وأن حصانه الخاص قد فاز بجائزة الألعاب الأولمبية فى شمال غربى اليونان .

ولهذا هنأ العرافون فيليب بمولد ابنه الاسكندر . وقالوا له أن هذا الابن الأول ، الذى سيخلفه على العرش ، ستصحبه دائما الانتصارات . إذ صاحبت مولده ثلاث علامات كبرى ! .

وكانت مقدونيا قد عانت كثيراً من اعدائها : الاليريين فى الشمال ، والتراسيين فى الشرق ، والبادينيين فيما بينهما . كما أن الأوضاع بين الولايات الاغريقية المختلفة لم تكن مستتبة . وقد قضى فيليب أعواما طويلة من شبابه فى أسر الثيبيين . وخسر إحدى عينيه فى أواخر ايامه وهو يقاتل الاثينيين . وكانت الأمبراطورية الفارسية فى الشرق ، تستغل

هذه الخلافات . وتقف بالمرصاد للدويلات الاغريقية فى غربها . وقد حكمت بعضها . وتهددت أو اشترت زعماء الأخرى .

ولكن الامبراطورية الفارسية أخذت فى الانهيار زمن فيليب . فأستشرى فيها الفساد . وبهظت الضرائب ، التى اعتصرت على وجه الخصوص ، الطبقتين الوسطى والفقيرة . حتى ثارت ثائرة الدول التى كانت تحكمها . من دون أن يهتم لذلك الافراد القليلون والباذخون الذين كانوا على رأسها .

وقد لاحظ المؤرخون أن ثروة الامبراطورية الفارسية ، التى وضع الاسكندر يده عليها فيما بعد ، قد تجاوزت ١٨٠٠٠٠ تالنت . وذكروا أن التالنت كان « أجر يوم » لستة آلاف مرتزق . وأن الاسكندر ، عندما وزع تلك الثروة الهائلة على أصدقائه وجنوده ، قد أحدث فى أنحاء مملكته موجة هائلة من الغلاء ! .

وعلى العكس من ذلك ، كانت الحضارة الاغريقية البازغة ، تقوم على إعمال العقل والتوسل بالمحاجاة . وتكره الاستبداد . وتتساءل عن دوافع الأشياء ، وأسباب السلوك ، ونتائج الأعمال . وقد أثرت هذه الحضارة على نواحى الحياة الاغريقية . ليس فقط فى الميادين السياسية ، فازدادت المعرفة بأحوال الشعوب ، وبجغرافية البلدان الخ . وانما أيضا فى تطوير أسلحة الحروب ، وتغير تكتيكاتها .

ويعود الفضل فى تغير صناعة وأشكال الأسلحة القديمة ، للمهندس الاثينى ايفيكراتيس Iphikrates الذى ترك السبائك البرنزية القديمة إلى سبائك حديدية أقوى . وجعل الجندى الأغريقى أخف وزنا ، وأسرع

حركة ، مما كان عليه . وأستبدل الرمح القصير فى يده اليمنى بآخر أطول (٣ متر) . وثبت فى يده اليسرى درعا . وألبسه حذاء خفيفا ، يحميه من وعورة الطرق . وأستبدل بالسيف الرفيع فى أيدى أكثر الجنود . سيفا آخر عريضا وأطول .

وأما القائد الثيبى ايامييننونداس Epameinondas فقد ابتدع نظرية حربية جديدة ، خلاصتها أن تفوق الجيش العددى على جيش آخر ، ليس ضروريا لكسب المعركة . وإنما يكفى لكسبها ، أن يتفوق الجيش الأول « عند نقطة مؤثرة فى وقت حاد » . فاذا ما تغلب فى هذه النقطة ، وسع تفوقه منها إلى النقاط الأخرى المحيطة بها .

وكان فيليب ، والد الاسكندر ، من أوائل من أخذوا بنظرية ايامييننوداس . وأنتصروا بجيش صغير نسبيا ، على جيش آخر أكبر منه عدداً . وحاول الاسكندر بعد ذلك ، محاكاة البطل الميثولوجى الاغريقى ياسون Jason الذى أعجب به ، فى سرعته وخداعه ومفاجئته لأعدائه . فى مثل قيادة ياسون للارجونوت ، واستعادته الفروة الذهبية ، وتوليه عرش ايولكس .

ومما لا شك فيه أن الفضل فى تمتع مقدونيا بجيش حديث ومدرب ، اعتبره المؤرخون أفضل جيوش العالم القديم على الاطلاق ، يعود إلى فيليب . وليس إلى الاسكندر .

وقد كانت العادة فى جيوش العالم القديم ، أن يركب الضباط الخيول أو البغال ، وأن يسير الجنود على أقدامهم . وأن يخدم كلا منهم خادم . ولكن فيليب جعل ضباطه يسيرون مع جنودهم . ولم يعط كل عشرة

منهم سوى خادما واحداً . وجعلهم يستحمون فى كل يوم بالماء البارد .
ويقطعون ٣٠ كيلو متراً .

* * * *

وكان فيليب قد خلف على عرش مقدونيا ، وهو فى الواحدة والعشرين من عمره ، شقيقه الملك بيرديكاس . بعد أن قتل الايلريون بيرديكاس ومعه ٤٠٠٠ جندى مقدونى .

ثم قام فيليب باعادة تنظيم جيشه ، وتسليحه وفق الأساليب الحديثة فى زمانه . وتغلب ، بعد عامين من توليه الحكم ، على أعدائه الشماليين والشرقيين . وفرض سطوته على أكثر الدويلات الاغريقية . عاقداً مع كل منها معاهدة منفصلة ، جعلت منه بطلا لمقدونيا ، وقائدًا لليونان . وأخذ يَعد عدته لتحطيم الامبراطورية الفارسية .

وقد تزوج فيليب ، فى نفس العام الذى تولى فيه حكم مقدونيا ، من اميرة شابة ورائعة الجمال ، هى اوليمبيا Olympias . ابنة ملك ايبروت .

وكان فيليب قد قابل اوليمبيا لأول مرة منذ سنوات كثيرة فى ساموتراس . وكانت تترأس الاحتفال بالآله الاغريقى دايونيساس . وتمارس رقصات منيوية فى ضوء القمر . تشاركها فيها « الحيات المقدسة » ! .

ثم وجد فيليب ، أنه إلى جمال اوليمبيا ، وغرابة أطوارها أحيانا . فانها كانت عاطفية وعنيدة .

وقد حلمت اوليمبيا ، ليلة زفافها لفيليب ، أن صاعقة من السماء ، قد دخلت غرفتها . واخترقت جسدها . وأشعلت فيه ناراً . قبل أن .ارحه ! .

ولاحظ بعض أهل القصر المقدونى ، أن اوليمبيا كانت كثيراً ما تنام ، وقد احتضنت إلى جانبها حية كبيرة ! .

وحين سمع فيليب بالخبر ، ظن أن زوجته تخونه مع آخر . وتلصص عليها من ثقب الباب . ولكنه لم ير إلا تلك الحية ! . وقيل أن تلصص فيليب على زوجته ، كان هو السبب فى فقده لعينه بعد ذلك ، خلال قتاله مع الاثينيين ! .

وقد استشار فيليب كهنة معبد أبولو فى ديلفى . فنصحه كبير كهنتهم بأن يقدم قربانا للآلهة . وبأن يضع فوق رحم زوجته قيداً حديديا فى صورة أسد . وتنبأ العرافون بأن أوليمبيا ستلد ابناً فى شجاعة الاسود ! .

وحين ولد الاسكندر مع العلامات الثلاث التى تحدثنا عنها ، تنبأ العرافون ، بأن الانتصارات ستصاحبه دوما . وقال كهنة معبد ارتيمس فى ايفسوس أن كارثة كبرى ستحيق بآسيا ! .

ومهما كان الأمر ، فان ولادة الاسكندر كانت راحة وسلوى لأوليمبيا . فان فيليب كان يقضى أكثر شهور السنة فى مباشرة حروبه ، بعيداً عن مقدونيا ؛ وكان فى كل مرة يخرج فيها إلى إحدى هذه الحروب ، يختار لمرافقته عشيقة صغيرة مختلفة ! . فاذا عاد من الحرب ، وجد من عناد اوليمبيا وكبريائها ، ما يبعده عنها . ويبقيه إلى جانب اصدقائه وعشيقاته ، يقارع معهم الخمر ، ويشاركهم اللهو حتى الصباح ! .

والمعروف أنه إلى جانب هؤلاء العشيقات ، فقد تزوج فيليب سبع مرات على الأقل ! .

ولهذا كانت أوليمبيا تفضفض عن نفسها ، بالحديث والشكوى للاسكندر . وتحولت عنايتها به ، إلى حب دفين . ويقال أن أحاديثها ، وذلك الحب ، قد أصاب الاسكندر بعقدة أوديب* وأن هذه العقدة ، قد أبعدته عن الجنس . وحببت إليه السيدات المتقدمات نوعا فى السن . وكان الاسكندر يردد فى بداية غزواته ، أن « النوم والجنس هما اللذان يذكرانى بفنائى » ! .

وسنرى فيما يلى أن الاسكندر قد ترك أمر زواجه ، بل وترك اتخاذ العشيقات والجاريات ، إلى ما قبل وفاته بأعوام قليلة . وأنه قد مات دون وريث . بينما كان « يرتاح إلى أحاديث » من يخالطهن من سيدات متوسطات أو متقدمات الأعمار . حتى أن والدة الامبراطور الفارسى دارا الثالث ، قد قتلت نفسها حزنا عليه ، حين علمت بوفاته ! .

---

* أنظر كتابنا « فرويد » فى هذه السلسلة .

التلمذ على ليونيداس وأرسطو

وقد نشأ الاسكندر عنيداً ، وطموحا . يرفض القيود . ويظن الكثير في نفسه . ومن حظه أن والده فيليب ، كان واسع الصدر ، عظيم الفهم لأحواله النفسية . ومما لاحظه فيليب ، أن ابنه لا يستسلم للاوامر إلا رغما عنه . ولكنه يقبل النقاش . ويستمع لدواعى العقل .

وكان الاسكندر يحب منذ طفولته الألعاب الرياضية . وقد سئل يوما إذا كان يحب الاشتراك في الألعاب الأوليمبية . فأجاب : نعم . إذا كان سينافسنى فيها أبناء الملوك ! .

ويلاحظ أن الاسكندر قد انحدر عن طريق أبيه ، عن بطل الميثولوجيا الاغريقية القوى هرقل Hercules . وعن طريق والدته عن آخيل Achilles بطل الباذة هومر . وكان رمز القوة والجمال عند الاغريق . ولعل الاسكندر تفاخر بالثانى أكثر مما تفاخر بالأول . خصوصا فى صباه ، حين كان تعلقه بوالدته كبيراً .

وقد أشرنا إلى أن الاسكندر لم ينغمس فى الجنس ، والملذات الأخرى ، كالأكل والشراب والموسيقى . وإنما كان فيها كلها شديد الاعتدال . يقول بلوتارخ :

« ولم يكن الاسكندر يمارس الجنس ، أو الملذات الأخرى ، إلا باعتدال . بينما أطماعه كانت دائمة جادة . وروحية . ومما ينتظره المرء من رجل يفوقه سنا بكثير » .

وكان من أهم الملذات الجادة ، أو الروحية ، التى أقبل عليها الاسكندر ، رغبته المتوقدة للمعرفة . واقباله على القراءة . وقيل أن من أحب الكتب التى أقبل عليها الاسكندر منذ صباه « الياذة هومر » . وأنه كان لديه منها أكثر من نسخة . أثمنها جميعا هى هذه التى ذيلها معلمه أرسطو Aristotle (٣٢٢/٣٨٤ ق م) بشروحه . وقد أخذ الاسكندر الالياذة معه إلى كل مكان ذهب إليه . وكان يضعها إلى جوار وسادته . ويقرأ منها فى كل ليلة قبل أن ينام . بينما كان يضع تحت الوسادة خنجره الخاص .

وفى كتاب « غراميات الاسكندر » الذى سنشير إليه فيما بعد . يقول فيليب لأرسطو : هذا هو ابنى الاسكندر . خذه وعلمه أشعار هومر .

ويقال أن الاسكندر قد حفظ هذه الأشعار عن ظهر قلب . وأنه كثيراً ما كان يقضى لياليه وهو يرددها .

وقد تأثر الاسكندر فى الألياذة ، بسرد هومر لحياة آخيل . وتصور صديقه الحميم هيفاستيون Hephaestion فى شخصية باتروكلوس . وهو محارب مخلص ، أعطاه آخيل سلاحه . وقُتل ، وهو يدافع عن آخيل .

وعندما ذهب الاسكندر لحروبه الاسيوية بعد ذلك ، أرسل إلى صديقه هاربالوس Harpalos فى مقدونيا ، يطلب منه أن يرسل إليه شيئا

يقرأه . وقد أرسل له هاربالوس « حياة دايونيساس » . ومسرحيات وأشعار اغريقية عديدة .

ويلاحظ أن الاسكندر ، كان قد نشأ مع ابناء الملوك والقواد والسفراء فى البلاط المقدونى . وكانت العادة أن يضم البلاط أيضا الرهائن ، من أبناء الملوك والحكام ، الذين يخضعون لذلك البلاط . وكان من هؤلاء هيفاستيون . وكان جميل الصورة ، طويل القوام . والأمير المقدونبى هاربالوس . وبطليموس* Ptolemy الذى جاء إلى البلاط من غربى مقدونيا ، وأسس بعد ذلك الأسرة البطلمية فى الاسكندرية . ونيارخوس Nearchos الذى جاء من جزيرة كريت ، واستكشف خلال رحلة عودة الاسكندر أنحاء المحيط الهندى .

* * * *

وكان فيليب قد شعر بقوة تأثير زوجته اوليمبيا على الاسكندر . وأراد أن يضعفه . فاختار له « معلما عنيدًا » على ما يذكر بلوتارخ ، من أقرباء زوجته نفسها . المدعو ليونيداس Leonidas . وأختار إلى جانبه مساعدين آخرين ، احدهما هو كليزيماخوس ، فى العلوم المختلفة .

ثم أرسل فيليب الاسكندر بعد ذلك إلى أرسطو ، فى منزل الأخير بميزا . وأرسل معه إلى هناك أيضا ، بعض أصدقاء الاسكندر ، وعلى رأسهم هيفاستيون .

---

* أنظر كتابنا « كليوبطرة » فى هذه السلسلة .

وقد ناقش الاسكندر ارسطو فى جميع فروع المعرفة . واعتبر أن الفترة التى قضاها معه فى ميزا ، كانت أسعد فترات حياته . وحمل للفيلسوف الاغريقى طوال حياته كل مظاهر الحب والتقدير . وذكر أنه قد أحبه بأكثر مما أحب والده . « لأن أبى قد أعطانى الحياة ، وأما أرسطو ، فقد أوضح لى كيف أستخدمها على الوجه الأكمل » .

وعندما علم الاسكندر وهو فى آسيا بعد ذلك (وقد رافقه اليها ليزيماخوس) أن أرسطو قد أذاع دروسه له . كتب له ، على ما يقول بلوتارخ ، خطابا غاضبا :

« من الاسكندر إلى ارسطو . تحياتى . لقد كان خطأ منك أن تذيع على الملأ دروسك لى . وهى التى كانت تميزنى عن غيرى . وقد جعلتها أنت فى متناول الناس جميعا . لقد كنت أفضل أن أكون مميزاً بتلك المعارف ، عن أن أكون مميزاً بالسلطان . وداعا » .

ويلاحظ أن أرسطو كان جمهورى النزعة . ديمقراطى المذهب . وشديد التمسك بالاخلاق . وانه كان يظن « أن الرجل الفاضل هو الذى ينبع الفضل من داخله » .

وكان أرسطو يكره إلى هذا الفرس . وله قصيدة معروفة فى مدح صديق له يسمى هيرمباسيس ، تحمل تعذيب الموت على أيدى الفرس ، على أن يبوح لهم بأسرار أصدقائه .

ولهذا اختلف ارسطو مع الاسكندر ، كما سيجىء .

على أن من الآثار التى طبعها ارسطو فى نفس الاسكندر ، هوايته

للطب . وقد حاول الاسكندر بعد ذلك ، أن يشخص أمراض أصدقائه وجنوده . وأن يصف لبعضهم الأدوية .

ومما لا شك فيه ، أن الفضل يعود كاملا لارسطو ، فى أن تصبح حملة الاسكندر ، لا مجرد غزوة عسكرية . وإنما حركة حضارية . فقد رافقها مهندسون ، وأطباء ، وعلماء نبات وحيوان ، وأدباء وشعراء ومؤرخون . بل وراقصون وممثلون . عملوا جميعا على دراسة أحوال المناطق التى مروا بها ، وتركوا بصماتهم واضحة عليها . وأرسلوا لبلادهم مشاهداتهم وعيناتهم . وفتحوا من بعدهم أبوابا واسعة لانتشار وتغلغل العلوم والثقافة الاغريقية .

وهناك من يقول ان الاسكندر قد حاول أن يحقق بفتوحاته أهدافا انسانية . وانه قد أراد أن ينشىء حكومة عالمية واحدة ، تبسط جنسيتها على جميع الناس . وسوف نناقش هذا الرأى فيما بعد .

* * * *

ومن الحكايات التى تروى عن الاسكندر فى صباه ، أن أحد تجار الخيول ، المدعو فيلونيكوس الثيسالى ، قد أحضر للملك فيليب حصانا أسوداً وجميلا . زعم أنه وحيد زمانه . وطلب فيه مبلغا باهظا ، هو ١٣ تالنت . وهو على ما لاحظ بعض أفراد حاشية الملك وقتئذ أجر ٧٨٠٠٠ يوم !.

وقد وجد فيليب أن الحصان كان « وحشيا » . وانه لا يسمح لأحد بالاقتراب منه . ورفض شرائه .

ولكن الاسكندر تقدم منه ، وقال : ياجمال الحصان الذى

ترفضونه ، بسبب عجزكم عن الاقتراب منه أو ركوبه ! .

وقد استاء فيليب من كلمات ابنه . ووبخه قائلا : هل تجرؤ على لوم من هم أكبر منك ؟ . وتظن نفسك القدرة على إتيان ما لا يستطيعونه ؟

وقد رد الاسكندر على والده قائلا : هذا الحصان على الأقل ، الذى ترفضونه ، وتخافونه ، أستطيع أنا أن أقترب منه ، وأن أركبه .

وقد اتفق فيليب مع الاسكندر ، على أنه إذا لم يستطع تنفيذ ادعائه ، فسيدفع ثمنه الباهظ من جيبه الخاص .

وكان الاسكندر قد لاحظ اضطراب الحصان ، حين تقدم من الجمع الملكى ، بعددهم الكبير ، وملابسهم المزركشة . ووجد أن عيناه تنتقلان فى قلق بينهم ، وبين ظل الشمس إلى جواره .

ولهذا ، اقترب الاسكندر من الحصان بحذر . وأخذ يربت عليه . ثم قاده بعيداً عنهم . وأداره عن الشمس . ثم أخذ يربت عليه مرة أخرى ، ويهمس فى اذنه . حتى هدأ . فامتطاه . وقاده نحو الافق . حتى إذا اطمئن له ، وهدأ . عاد به راكضا إلى الجمع المحتشد .

وهنا علا هتاف الحاضرين للاسكندر . وتقدم فيليب نحو ابنه ، وقد نزل عن الجواد ، فعانقه . ويقال انه قد قال له امام الحاضرين : أبحث لنفسك ، يا بنى ، عن مملكة أخرى تليق بك . فان مقدونيا أصغر من أن تتسع لك ! .

وقد أطلق على جواده اسم « بوكيفالاس Boukephalas » . ولازمه بعد ذلك فى غزواته . وكان كثيراً ما يضن به عن الاشتراك فى القتال . وعندما مات بوكيفالاس فى عام ٣٢٦ ق م ، كما سيجىء ، أطلق الاسكندر اسمه على مدينة كاملة أنشأها فى البنجاب .

اغتيال فيليب

وكان الاسكندر يخرج مع والده منذ حداثته ، فيشاطره قتال أعدائه . وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره ، أى فى عام ٣٤٠ ق م ، خرج فيليب لقتال بيونتس ، الواقعة على بحر مرمرة . وترك الاسكندر وصيا على العرش . وفى هذه الاثناء قام المادووين بثورة ، فخرج الاسكندر لاخمادها بنفسه . ونجح فى هذا نجاحاً كبيراً . وأنشأ فى بلادهم مدينة جديدة أسماها : الكسندرو بوليس . كانت أولى المدن التى حملت أسمه .

ولكن حملة فيليب على بيرونتس لم تنجح ، بسبب مساعدة الاثينيين لهم . فتحول عنهم فيليب إلى تريبالوى ، فى الشرق . وانتصر عليها . ولكنه جرح خلال قتاله لهم . وعندما شفى من جروحه ، حاول اخضاع ثيساليا .

ويلاحظ أنه عندما كانت أخبار انتصارات فيليب ، تجىء إلى الاسكندرية ، أنه كان « يغير » منها . وكان يقول لرفاقه : ان أبى لن يترك لى شيئا عظيما أفعله بعده !

وفى عام ٣٣٨ ق م ، وكان الاسكندر قد بلغ ١٨ عاما ، شارك أباه

فى معركة كبرى ، هى معركة كيرونيا . ويقال انه كان أول من اخترق صفوف الثيبيين . وعندما هزم فيليب الثيبيين ، عقد معهم معاهدة مهينة وقاسية . على عكس المعاهدة التى عقدها بعد ذلك مع الاثينيين . ويقال ان فيليب ، ومن بعده الاسكندر ، قد عاملا أثينا دائما باللين والرفق . وكانا يحترمان رغباتها . ويحافظان على كيانها . ويحسبان لها حسابا كبيراً . بينما وضعا فى ثيبة حامية احتلال ، وانتزعا أراضيها . وفرضا الغرامات والعقوبات عليها .

وكان فيليب قد كون عصبة ، أو حلف اغريقى ، يتصدى للدولة الفارسية ، وينتقم للفظائع التى ارتكبها الملك الفارسى زيريكسيس Zerxes فى اليونان فى عام ٤٨٠ ق . م . وقد أخذ فيليب يحارب الولايات الأغريقية ، واحدة بعد الأخرى . ويعقد مع كل منها ، على ما أشرنا ، صلحا منفرداً . قبل أن يدعوها جميعا لعقد « حلف كورنثيا » .

ثم عاد فيليب فى صيف عام ٣٣٧ ق م إلى مقدونيا . وأخذ يفكر فى الزواج من ابنة شقيقة قائده أتالوس Attalos . وكانت تسمى كليوبطرة Cleopatra . ولا يتجاوز عمرها ١٨ عاما . أى أصغر قليلا من عمر لاسكندر .

وطبيعى أن تثور اوليمبيا على هذا الزواج . وأن تقاطعه . وتحاربه . ولكن فيليب كان يرى أن من حقه كملك أن يتزوج ، وأن يتخذ من العشيقات ، ما يشاء ! . وقد قرر أن يعقد الزواج فى حجراته بالقصر الملكى . وأن يدعى إليه أهم أمراء وقواد المملكة .

وأما اوليمبيا ، فقد أغلقت على نفسها أبواب حجراتها .

وفى خلال الاحتفال أكثر فيليب وأتالوس من الشراب . بينما جلس الاسكندر هادئا فى أحد الأركان .

ثم قام أتالوس ، ودعا الحاضرين إلى أن يشربوا نخب « الوريث الشرعى القادم » . وكان فى هذا تعريضا واضحا بالاسكندر . وترديداً للاسطورة التى ذاعت ، وزعمت أن الاسكندر ليس ابن فيليب . وإنما هو ابن تزيوس/ آمون .|الذى تقمص صورة الحية ، وضاجع اوليمبيا

وقد هب الاسكندر واقفا ، عندما سمع كلمات أتالوس . وألقى بكأسه فى وجه قائد والده . وقال له : وهل تأخذنى « كابن حرام » أيها الوغد ؟ .

وتصدى فيليب للاسكندر . وسحب سيفه من غماده على ابنه ولكنه ، وهو يتقدم ناحيته ، تعثر ووقع .

ولم يرحم الاسكندر عثرة أبيه . وقال للحاضرين : أنظروا ! . ان الذى يريد أن يخطو من أوروبا إلى آسيا ، لا يستطيع أن يخطو خطوة قصيرة بين وسادتين ، فينبع بينهما ! .

ثم سارع أصدقاء الكسندر إلى سحبه خارج القاعة .

وقد لجأ الاسكندر مع والدته ، اوليمبيا ، وبعض أصدقائهما إلى جبال ايبيروس .

ولكن فيليب ، كان قد أخذ يتبين ، فى الصباح التالى ، الامور . ويعذر ابنه فى كلماته . وقد ارسل خلفه ديماراتوس الكورنثى كى يعيده إلى القصر .

وعاد الاسكندر فعلا إلى القصر المقدونى . وأما اوليمبيا ، فظلت فى ايبيروس .

* * * *

ثم اتفق فيليب مع الملك الاغريقي بيكسودار ، على أن يزوج أحد ابنائه بابنته . وقد اختار فيليب لهذا الزواج ابنه غير الشرعى ارهيدايوس Arrhidaios الذى يظن المؤرخون أنه كان مصاباً بالصرع ، أو متخلف نوعا .

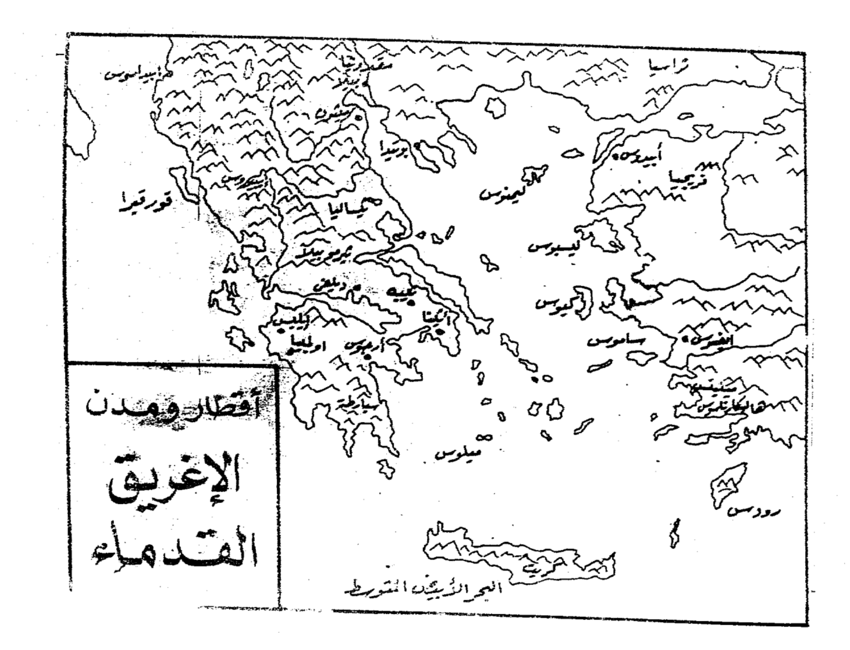
ولم يكن اختيار فيليب لارهيدايوس بدلا من الاسكندر ، لهذا الزواج ، كراهة فى الأخير . وإنما تقديراً منه للمهمة التى أراد ادخار الاسكندر لها .

فقد قصد فيليب بزواج ارهيدايوس تحقيق أغراضه السياسية .

وأراد للاسكندر أن يلى حكم مقدونيا ، وقيادة جلف كورينث من بعده .

ولكن اوليمبيا كانت تواصل الكتابة للاسكندر من ايبيروس ، وتحرضه على فيليب . كذلك لم يتبين الاسكندر واصدقاؤه غرض فيليب الحقيقى . ونصحوه بأن يتقدم بنفسه للزواج من ابنة بيكسودار .

وطبيعى أن يرحب بيكسودار بطلب الاسكندر . وأن يعلن زواجه بابنته . وأن يثور فيليب عندما يعرف بما حدث . ويصارح ابنه بما كان فى خاطره . ويطلب إليه ألا ينصت بعد ذلك لوصايا أمه وأصدقائه . بل وينفى بعض هؤلاء الأصدقاء ، ومنهم هاربالوس ونيارخوس


أقطار ومدن
الإغريق
القدماء
ثراسيا
مقدونيا
أبيدوس
فريجيا
ليمنوس
ليسبوس
كيوس
ساموس
افسوس
هاليكارناسوس
رودس
ميلوس
قورقيرا
تساليا
دلفي
طيبة
أثينا
أرجوس
أوليمبيا
إيليس
اسبارطة
البحر الأبيض المتوسط

وبطليموس ، خارج مقدونيا . وكان قد نفى قبل هذا بقليل هيفاستيون منها .

ثم يعلن زواج كليوبطرة ، ابنة فيليب الشرعية واوليمبيا الوحيدة ، إلى جانب الاسكندر ، بعمها الكسندر ، ملك ابيروس . ويعقد الحفل فى مسرح آيجى .

وبينما فيليب يتقدم موكب الزفاف ، وحيداً فى مقدمته ، يسرع خلفه رجل . يقترب منه كثيراً . ثم يخرج خنجراً . ويغمده فيه . ثم يسارع إلى الفرار . وكان قد أعد له حصاناً خارج المسرح . ولكنه قبل أن يبلغه تلحقه حربة بيرديكاس . فتقتله .

وأما فيليب ، فكان قد مات بطعنة الخنجر القاتلة .

اختيار الاسكندر قائداً لليونان

عندما قتل فيليب ، فى أكتوبر عام ٣٣٦ ق م ، فى قاعة مسرح آيجى ، تعرف الحاضرون من فورهم على قاتله . وكان يسمى بوزانياس . وتذكروا أن بوزانياس كان قد تشاجر منذ سنوات مع أحد أعوان أتالوس . وأن ذلك القائد ، وحتى فيليب نفسه ، رفضا أن يتدخلا لصالحه .

ولكن لماذا يقتل بوزانياس فيليب بعد كل هذه السنوات ؟ ولماذا لم يقتل أثالوس قبلها ؟ .

ومن أطلعه على خطوات الحفل ، وأعد له الحصان خلف المسرح ؟ !.

لقد زاد من شبهات المقدونيين ، أن الاسكندر نفسه ، كان بعد مقتل والده ، هادئا ورصينا . وقد صعد على خشبة المسرح ، ونادى أتباعه ورعاياه بألا يحزنوا لفقد ملكهم . وأن يلتفوا حول « الملك الجديد » . ووعدهم بأن شيئاً لن يتغير فى المملكة « سوى أسم الملك » ! .

ثم أمر الاسكندر من فوره ، بقتل بعض منافسيه ، ممن يمكن أن ينافسوه الحكم بعد ذلك . وكان من هؤلاء شقيقان من أولاد اسكندر

ايروبيس . وقد عفا الاسكندر عن ثالثهم ، حين سارع باعلان ولائه له . كذلك أمر الاسكندر بقتل ابن آخر « شرعى » للملك فيليب ، كان يسمى كارانوس . وابن للملك السابق بيرديكاس ، كان يدعى اينتيباس .

وقد أثار سلوك الاسكندر عقب مقتل والده ، اتهامات كثيرة . ومن المؤرخين من أتهم الاسكندر صراحة بتدبير مقتل والده ، فيليب . أو على الأقل بالاشتراك مع والدته ، اوليمبيا ، فى مؤامرة قتله . وظن آخرون ، أن المؤامرة كانت فى حقيقتها مؤامرة اوليمبيا . وليس الاسكندر . وأن الاسكندر قد وجد نفسه مشتبكا بخيوطها ، ولم يكن سهلا عليه أن يخلص نفسه منها .

ويلاحظ أن الاسكندر ، عندما زار معبد آمون فى واحة سيوة ، فى عام ٣٣١ ق م ، قد سأل آله ذلك المعبد ، الذى اشتهر فى العالم القديم بصدق نبؤاته ، سؤالين محددين . كان أحدهما : هل اقتص تماما لمقتل فيليب ؟ .

ومع أننا لا نعرف فحوى الجواب الذى ظفر به الاسكندر من كهنة معبد آمون ، فان طرح الاسكندر لسؤاله يدل على حيرته . وربما على براءته من تهمة تدبير اغتيال والده .

* * * *

وقد ترك فيليب للاسكندر ، بعد مقتله ، دولة « اغريقية » قوية متجانسة . توحدت ، لأول مرة ، منذ الحروب البولوبونوزية ، التى كانت قد شغلتها طوال قرن . كذلك ترك فيليب للاسكندر جيشا مدربا

وحديثاً ، كان من ناحية تسليحه وتدريبه ، أفضل جيوش العالم القديم .
وكان الاسكندر وقتها فى العشرين من عمره . متوسط الطول . قوى الجسم . حليق اللحية والشارب (على عكس فيليب) . أسود الشعر . يفرقه من الوسط . وتتدلى خصلاته على جانبى رأسه . عيونه سوداء . ولكن من الاساطير ما ذكر أن إحدى عينيه كانت سوداء ، والأخرى زرقاء ، دلالة على قدرته على السحر ! .
وقد انشغل الاسكندر فى بداية حكمه ، باخماد القلاقل والاضطرابات التى ثارت فى انحاء اليونان . فأن دويلات اغريقية عديدة ، ظنت أن الاسكندر لن يستطيع ، بسبب حداثة عمره ، أن يملأ المكان الذى كان يملؤه فيليب . حتى أخذ السياسى الاثينى ديموسثينز Demothenes يشير فى أحاديثه إلى « ذلك الصبى » ! .
ولما سمع الاسكندر ما يقوله ديموسثينز ، رد عليه بقوله : قد أكون صبيا ، ولكننى عندما أبلغ ثيرموبيلا سيجدنى ديموسثينز شابا يافعا . وعندما أبلغ ثيبة سيجدنى رجلا ناضجا ! .
وقد اعتمد الاسكندر فى بداية توليه حكم مقدونيا ، على قائدى والده أنتباتر Antipatros وبارمينيون . كما أنه لم يسرع بالتخلص من أتالوس .
وكان ديموسثينز قد كتب سراً لاتالوس ، عند بداية تولى الاسكندر الحكم ، ظنا منه أن أتالوس سيرحب بالتآمر معه ضد الاسكندر . ولكن أتالوس ، الذى كان يعرف الاسكندر تمام المعرفة ، أرسل كتاب ديموسثينز إلى الاسكندر . واستطاع بهذه الخطوة أن يرجىء انتقام الاسكندر منه .

وقد ركب الاسكندر على رأس جيشه جنوبا . فاخترق ثيساليا ، وثيرموبيلا . وبلغ أطراف أثينا ، من دون أن يلاقى أية مقاومة . وقد انهارت بوصوله إلى أثينا آمال أعدائه فيها . وعندما دخل كورنثيا ، أجمع ممثلو الدول الاغريقية ، فيما عدا اسبرطة ، على التصويت له . فعين « قائداً أكبر » لليونان ، وأنيطت به مهمة مقاتلة الفرس . وأما الاسبرطيين فقد أصروا على أن اسبرطة لا تتبع أحداً آخر ! .

وفى كورنثيا ، انتظر الاسكندر أن يزوره الفيلسوف ديوجين السينوبى Diogenes (حوالى ٤٠٠/ حوالى ٣٢٥ ق م) . وكان الاسكندر قد سمع به ، وبكلماته الحارقة ، وسخرياته المرة . فلما لم يحضر إليه ديوجين ، ذهب الاسكندر لزيارته .

وكان ديوجين يسكن زئر ماء كبير ، فى بعض أنحاء المدينة المتواضعة . ويقول سينيكا أنه كان يسكن « حوض اغتسال » أو « بانيو » قد كسر أحد أطرافه ! . ولم يكن يلجأ إلى هذا « المسكن » إلا فى الليل . أو إذا أمطرت السماء . ويعيش بقية الوقت خارجه . غير عابىء بالنظافة أو الهدوء أو الجمال .

وقد انحدرت الفلسفة الديوجينية عن أصل سقراطى . وتتلمذ ديوجين على انتيثينز . والديوجينية ، فى صميمها ، تمرد على اتجاه اليونانيين وقتئذ إلى السعى وراء المال والمتعة . وقد استخدمت الديوجينية السخرية . ولجأت إلى المبالغة . وكان ديوجين يجوب شوارع كورنثيا بمصباح ، ويقول أنه « يفتش به عن رجل فاضل » ! .

وقد وجد الاسكندر ديوجين ، مستلقيا على الأرض ، خارج مسكنه

المتواضع . وقد تناثرت حوله الاحجار والفضلات . ولوثته الأتربة . ولفحته الشمس . ولما لم يتحرك ديوجين لمرأى موكب الاسكندر القادم نحوه ، بادره الاسكندر بالتحية . ثم سأله : هل هناك خدمة ، أستطيع أن أؤديها لك ؟ .

وهنا رفع ديوجين رأسه وقال له : نعم . تستطيع أنت ورفاقك ، أن تتحركوا قليلا كى لا تمنعون وصول الشمس إلى ! .

وقد ضحك الجميع من وقاحة الفيلسوف . وأما الاسكندر ، فقد لبث صامتا هنيهة ، يفكر فى هذا الفيلسوف الذى لا يخشى أحداً ، ولا يزوق كلماته أمام أحد . ثم قاد أعوانه بعيداً عنه ، وهو يتمتم : إذا لم أكن الاسكندر ، لوددت أن أكون ديوجين ! .

القضاء على ثيبة

لم تقدم الولايات الاغريقية لجيش الاسكندر ، رغم الاتفاق الذى عقدته فى كورنثيا ، إلا أعداداً قليلة من الجنود . وقدراً أقل من المال . وقد عاد الاسكندر بجيشه المقدونى إلى مملكته فى الشتاء . ولكن ما أن بدأت الثلوج تنحسر عن الجبال المحيطة بها ، فى بداية عام ٣٣٥ ق م ، حتى خرج بجنوده مرة أخرى لاخماد ثورة القبائل الاليرية والثراسية (الآن بلغاريا) . إذ لم يكن الاسكندر يستطيع ، كما قال ، أن يخرج لملاقاة الفرس ، تاركا ثورة هذه القبائل على أعتاب مملكته .

وفى نفس الوقت ، أرسل الاسكندر أحد خلصائه ، المدعو هيكاتيوس ، كى يخلصه من أتالوس . وكان أتالوس قد أُلحق ، تمهيداً لهذا ، بجيش بارمينيون .

وقد أتم هيكاتيوس مهمته بنجاح بعد ذلك بأسابيع . وأخذ الاسكندر يواصل بعدها حملة واسعة للتخلص من أعوانه فى الجيش والمملكة .

وأما اوليمبيا ، فقد ظفرت بابنة شقيقة أتالوس ، كليوبطرة ، التى كان

فيليب قد تزوجها . والابن الذى أنجبته منه . وقد قتلت الأخير . ودفعت كليوبطرة إلى شنق نفسها . ولكن بعض المؤرخين يقول أن كليوبطرة لم تشنق نفسها ، وانما « شوتها » اوليمبيا حية فوق نار كبيرة أعدتها لهذا الغرض ! .

* * * *

وقد لاحظ المؤرخون ، براعة الاسكندر التنظيمية والقيادية ، منذ هذه الحملة الأولى التى خرج لها فى شمالى شرق مقدونيا . فقالوا أن حياته القصيرة ، قد خلت من التدرج والتمرس ، اللذين يمر بهما الانسان عادة . ووجدوا فى حملته الأولى ، نفس المستوى الرفيع الذى تميز به الاسكندر بعد ذلك ، فى كل حملاته التالية .

وكان الثراسيون قد احتلوا قمم ممرات الجبال ، التى كان على جنود الاسكندر أن يمروا بها فى طريقهم إلى نهر الدانوب . وقد جمعوا على هذه القمم عربات النقل القديمة ، والأحجار الكبيرة ، التى أزمعوا القائها فوق جنود الاسكندر خلال مرورهم بتلك الممرات الضيقة . وقد سمع الاسكندر بما أعده الثراسيون لجنوده . فأوصى جنوده بأن يمروا فى هذه الممرات فرادى . أو أن يضعوا أدرعتهم مائلة ومتجمعة فوق رؤوسهم . بحيث تنزلق فوقها كل ما يسقطه عليهم أعداؤهم .

وقد نجحت وصية الاسكندر لجنوده نجاحا كبيراً . فخرجوا من سيرهم فى تلك الممرات الضيقة باصابات قليلة . ومن دون أن يقتل منهم جندى واحد .

ثم تغلب الاسكندر على القبائل التريبالية ، وتقدم شمالا إلى الدانوب .

وتلاقى مع السفن التى أرسلها له البيزنطيون على شواطىء البحر الادرياتيكى . وأستطاع الاسكندر أن ينقل ٤٠٠٠ من جنوده و ١٥٠٠ من فرسانه عبر نهر الدانوب ، خلال ليلة واحدة . وأن يفاجىء بهم السكيثيين فى الصباح .

ثم توافدت عليه ، على الشاطىء الشمالى للدانوب ، وفود القبائل الأوروبية . ومن بينهم غول وسط اوروبا . وكانوا قد زحفوا حديثاً من غربى أوروبا إلى شرقيها . فقدموا له هداياهم وفروض طاعتهم وولائهم .

وكان الاسكندر قد ابتعد عن مقدونيا بأكثر من ٣٠٠ كيلو متر . وقد انتهز الاليريون ذلك ، وحاولوا غزوها فى غيابه . وأسرع الاسكندر عائداً بجنوده ، خلال الدول البلقانية ، وبسرعة تجاوزت أحيانا ٥٠ كيلومتراً فى كل يوم . وأستطاع أن يفاجىء الجنود الإليريين على حدود مملكته ، وقبل أن يشرعوا فى هجومهم عليها . وأن يشتتهم تماما .

ثم هاجم الاسكندر فى اليوم التالى مباشرة التولنتوبيين ، بقيادة ملكهم جلوكياس . وبعد ذلك بيومين ، اخترق معسكر الاليريين ، وكانوا بقيادة ملكهم كليتوس . ويقول اريان : « ان الاسكندر قد قضى عليهم جميعا . ومن أستطاع أن يفر منهم بنفسه ، فمن دون سلاحه » .

ثم سمع الاسكندر أن الثيبيين قد ثاروا على الحامية المقدونية المعسكرة فى قلعة مدينتهم . وأنهم قد قتلوا اثنين من جنودها . وأن الاسبرطيين والاثينيين يحرضونهم . وأن الاخيرين يرسلون لهم أسلحة كثيرة . وأن ديموسثينز الاثينى قد أعلن أن الاليريين قد ظفروا بالاسكندرية وقتلوه ! .

وقد أسرع الاسكندر بقواته من اليريا إلى ثيبة . فبلغها بعد ١٤

يوما . وحاصر قلعتها . وطالب الثيبيين بانهاء ثورتهم . ولكنهم هاجموا قواته . حتى اضطر الاسكندر إلى نجدة جنوده فى قلعة المدينة . واختراق دفاعات الثيبيين بعد قتال شديد . وقد قضى على ثورة ثيبة قضاء مبرما . وقتل منهم ٦٠٠٠ رجل .

ثم دعا الاسكندر إلى عقد مجلس لحلفائه من أعضاء عصبة كورينث فى داخل ثيبة . وكانوا جميعا من أعداء هذه المدينة . وقد ذكروا الثيبيين أنهم قد سبق أن انضموا للغزاة الفرس ، ضد الاغريق . وأنهم قد سبق أن حكموا على بالاتيا بالتدمير . وقرروا أن تدمر ثيبة تدميراً كاملا . وأن يباع جميع أهليها كرقيق ! .

وقد استثنى الاسكندر من التدمير معابد المدينة . ومنزل الشاعر الثيبى بيندار Pindar . وكان قد توفى قبل هذا بمائة عام . كما عفا عن أصدقاء مقدونيا من الثيبيين . وبيع الباقى . وقد جاوز عددهم ٣٠٠٠٠ ثيبى من الرجال والنساء والأطفال ، كرقيق . ووزعت أراضى المدينة على جيرانها ! .

ولكن الاسكندر لم يوقع أية عقوبات ضد اثينا ، رغم أنها كانت قد شجعت ، وساعدت ، الثيبيين على الثورة . وأكتفى بأن طلب نفى بعض ابنائها ، ومن بينهم ديموسثينز منها . ثم عاد ، فرضى بالعفو عنهم . وأكتفى بنفى ستيرودوماس منها ، لأنه لم يكن اثينيا . وقد خرج منها ستيرو دوماس ، وانضم إلى الفرس .

وكان الاسكندر كوالده ، يكن لاثينا ، كما ذكرنا ، احتراما خاصا . ويأمل فى كسب عواطف أهلها . ويتقرب إلى آلهتها . ويقدم لهم ،

ولكهنة معابدها ، القرابين والعطايا ! . ولكن أثينا لم تنحز إليه قط . ولم تساعده المساعدة التى كان يرجوها ! .

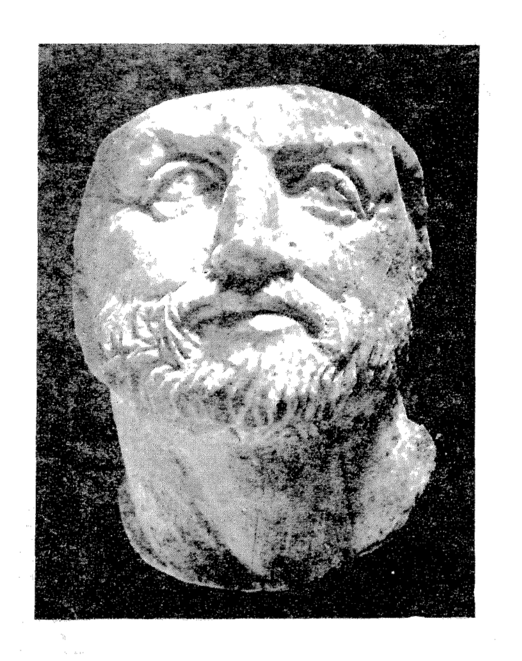
وجدير بالذكر ، أن الاسكندر قد ندم بعد ذلك على ما فعل بثيبة والثيبيين . وعزا بعض ما أصابه من انتكاسات ، إلى سوء معاملته للمدينة ولأهلها ، وإلى غضب وانتقام آلههم دايونيساس (رب الخمر والمحاصيل عند الاغريق ، وباخوس عند الرومانيين) منه ! .

وقد حاول بعض المؤرخين ، أن يبرىء الاسكندر مما حدث لثيبة ، بالصاق التهمة بحلفائه أعضاء عصبة كورينث . ويذكر اربان ان إحدى الثيبيات ممن اغتصبهن الجنود المقدونيون ، قد قتلت أحد هؤلاء الجنود ، حين طالبها بارشاده إلى حليها ونفائسها . فأوهمته انها أسفل بئر المنزل . ولما انحنى داخلها ، دفعته فيه ، وقتلته . وقد أخذت هذه السيدة ، وكانت تسمى تيموكليا ، بعد ذلك إلى الاسكندر ، بتهمة قتل أحد جنوده . واستمع الاسكندر إلى قصتها . ثم أمر باطلاق سراحها . ولام جنوده على مافعلوه بها .

ولكن ماذا يفيد انقاذ رقبة سيدة واحدة ، إلى جانب تدمير مدينة ، وقتل واسترقاق الآلاف من ابنائها ؟ ! .



تمثال للاسكندر عثر عليه فى برجامون



فيليب والد الاسكندر



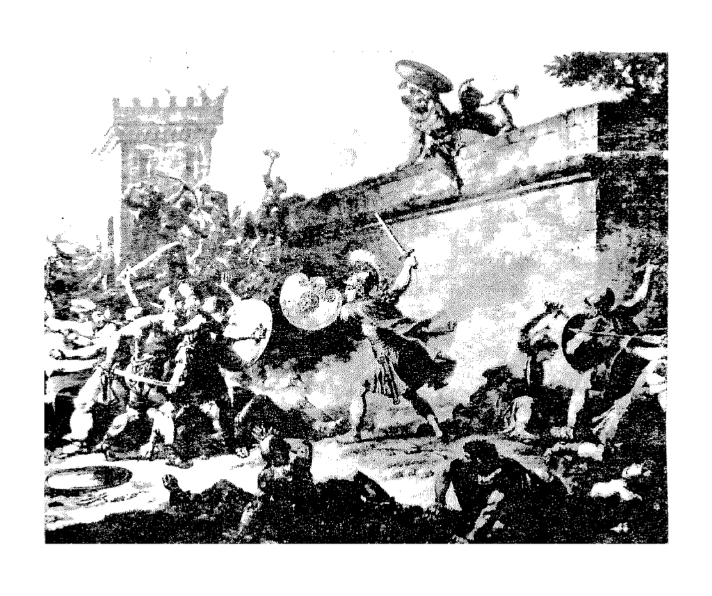
الاسكندر في الاساطير المسيحية

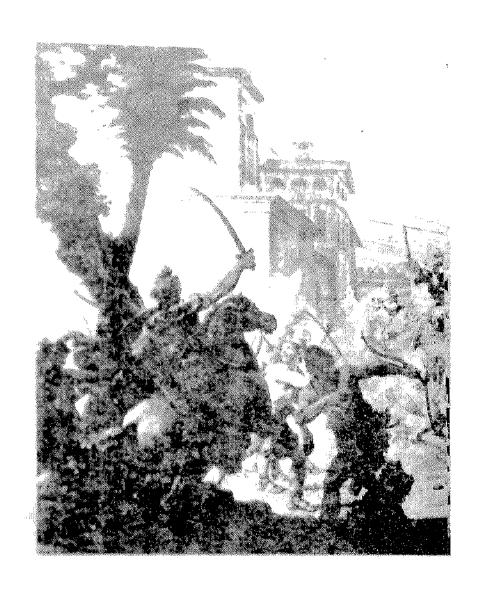


الاسكندر ذو القرنين
فوق نقود ليزيماخوس حوالى ٢٩٠ ق م

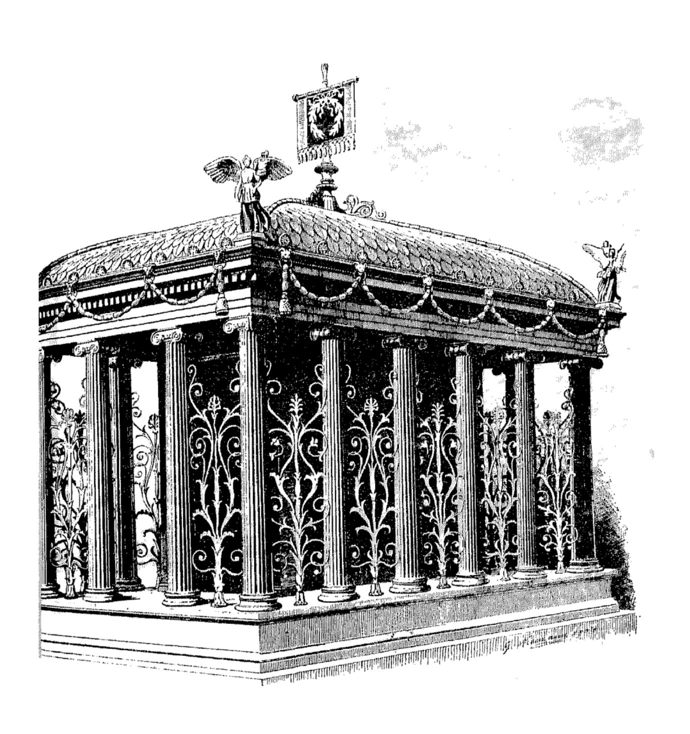


أصدق صور الاسكندر





الاسكندر يقتحم قلعة سانجالا



ضريح الاسكندر عند وفاته

انتصار جرانيكوس

وقد عاد الاسكندر بعد سقوط ثيبة إلى بيلا ، مسقط رأسه فى مقدونيا . بعد أن توقف فى ديلفى ، متقربا إلى آلهها أبولو (رب الضوء والطب والقوس) . وقد طمأنته كاهنة ذلك المعبد إلى أنه « لن يهزم أبداً » ! .

وقضى الاسكندر أشهر الشتاء التالية فى بيلا ، يعد لحملته على الامبراطورية الفارسية . وينظم أمور مملكته التى قدر أنه سيغيب عنها وقتا . والحقيقة انه لم يعد اليها قط ، حيا أو ميتا .

وقد جعل الاسكندر على رأس مقدونيا « وصيا » . هو وزير فيليب السابق : انتيباتر . وترك له ١٢٠٠٠ جندى و ١٥٠٠ فارس . ودينا ، ارتفع منذ وفاة فيليب ، من ٥٠٠ إلى ١٣٠٠ تالنت .

وكان الاسكندر قد وزع كل ما وضع عليه يده ، من أموال ونفائس وأراضى وعبيد ، على أصدقائه وأعوانه . ويقال ان صديقه بيرديكاس قد اعترض عليه قائلا : ولكن ماذا تركت لنفسك ؟ . فأجابه الاسكندر : الأمل ! .

ويقال أيضا أن أهل الاسكندر وأصدقائه ، قد أخذوا يحثونه على الزواج ، قبل خروجه لمحاربة الفرس ، كي يترك من خلفه وريثا على مقدونيا . ولكنه أجابهم : وهل هذا وقت اللهو مع النساء ، بينما هناك الكثير مما يجب على أن أعمله ! .

* * * *

وفى ربيع عام ٣٣٤ ق م ، عبر الاسكندر مع جيشه إلى آسيا ، عند نقطة هيلزبوينت . وكان قد تجمع له فيها حوالى ١٦٠ سفينة حربية ، قدمتها له الدويلات الاغريقية البحرية ، وأهمها أثينا .

وكان من السهل على الامبراطورية الفارسية وقتئذ ، أن تحشد فى مواجهة سفن الاسكندر القليلة والصغيرة ، عدداً أكبر من السفن ، وعدداً أوفر من الجنود . ولكن من بين المؤرخين من يقول أن الجزء الأكبر من الاسطول الفارسى ، الذى كان يزيد عدده على ٤٠٠ سفينة ، كان فى هذا الوقت فى مصر . يشترك فى اخماد ثورة فيها .

ويضيف آخرون ، ان خطة الملك الفارسى ، دارا الثالث ، الذى كان يعرفه الغرب باسم كودومانوس Codomanos (٣٣٠/٣٦٥ ق م) كانت تتلخص فى التمهل والانتظار . والسماح للاسكندر بالعبور بجيشه ، والتقدم فى آسيا ، ثم محاولة قطع خطوطه مع بلاده ، والاجهاز عليه بجيش كبير .

وكان دارا الثالث قد تولى حكم الامبراطورية الفارسية ، فى حوالى نفس الوقت الذى تولى فيه الاسكندر ملك مقدونيا . أثر مؤامرة نظمها وزيره الخصى باجواس . وأعقب فيها دارا الثالث قريبه دارا الثانى . وكان

باجواس يزمع التخلص من دارا الثالث أيضا ، مثلما تخلص من دارا الثانى . ولكن هذا أسرع فتخلص منه ! .

ويقال أنه عندما أصبح الاسكندر ملكا على مقدونيا ، أرسل له دار الثالث يطلب جزيته من « البيض الذهبى » . ولكن الاسكندر رد عليه ، بأن الطائر الذى يضع هذا البيض ، قد طار إلى عالم آخر . ويجب أن يتبعه دارا الثالث إلى هناك ! .

وحينئذ أرسل دارا الثالث للاسكندر خفاشا وكرتين صغيرتين ، سخرية بشبابه . فرد الاسكندر على مبعوثه بأن « هذا الخفاش سوف يمتص كل قواه » ! .

ثم أرسل له دارا الثالث ليمونة حمضاء ، كرمز للالم الذى سيعتصره . فرد الاسكندر على مبعوثه ، بأنه سيجعل دارا الثالث يأكل كل ليمونة حمضاء عنده ! .

* * * *

ولم يكن جيش الاسكندر يزيد ، سواء فى بداية عبور آسيا ، أو خلال زحفه الطويل والشاق فى هذه القارة ، عن ٤٠٠٠٠ جندى منهم حوالى ١٣٠٠٠ مقدونى و ١٢٠٠٠ اغريقى آخر . والباقى من جنود القبائل المتحالفة معه . وقد اعتمد هذا الجيش على ما سمى بالفلانكس ، وهم حملة الحراب الطويلة « الساريسا » . والتى كان طول الواحدة منها يجاوز ١٥ قدما . وكانت تضمها ٦ فرق . وإلى جانبها حملة الأقواس ، التى ترمى السهام الفتاكة . والجنود الخفاف أو الوثابون ، الذين يحملون السيوف والخناجر .

وأما قوة جيش الاسكندر الفعلية ، فكانت تكمن فى قواته الخاصة « الكومبانيون » وهى التى كان يضعها الاسكندر على الدوام إلى يمينه . وكانت تتألف من ٣٠٠٠ جندى وفارس . تقوم فى المقام الأول على فرقة من حرسه الخاص ، والتى أطلق عليها اسم أجيما .

وأما الفرسان ، فكان عددهم يقدر بحوالى ٥٠٠٠ فارس . تنتظمهم ٨ فرق . ويضمون ١٨٠٠ فارس مقدونى و ١٨٠٠ فارس ثيسالى و ٦٠٠ فارس اغريقى . والباقى من فرسان الدويلات الحليفة . وكان للاسكندر بين الفرسان ايضا فرقة من الكومبانيون .

وأما الجيش الفارسى الذى حاربه الاسكندر ، فكان فى أغلب الأوقات ، أكبر حجما من جيش الاسكندر . وقد قارب عدد جنوده فى إحدى المعارك مليون جندى . يضاف إلى هذا ، أن الثروة التى كانت تحت يد هذا الجيش ، كانت طائلة . مما أتاح له استئجار المرتزقة ، ومنهم اغريق . وشراء الاسلحة والمؤن الوفيرة . وحشد أعداد هائلة من أهالى الدول التى ضمتها فى ذلك الوقت الامبراطورية الفارسية .

ولكن هذا الحشد ، الهائل دائما ، كان يفتقر على الدوام إلى التدريب والتنظيم . اللذين كان قد اكتسبهما الجيش الاغريقى منذ عهد فيليب . بالاضافة إلى القواد الممتازين ، والمقاتلين الشجعان ، الذين خدموا فيه .

* * * *

وعندما توسط الاسكندر مياه المضيق الذى كان يعبره مع جنوده إلى آسيا ، شرب من كأس ذهبية ، نخب بوسيدون (رب البحر عند الاغريق القدماء) . وألقى بالكأس الفارغة فى مياه البحر !

ثم أسرع ، عندما حطت سفينته فى تروى ، إلى الذهاب لمعبد إليون . وضحى فيه للربة أثينا (ربة الحكمة والصناعات والحرب) . وترك كل ما حمل من أسلحة فى هذا المعبد ، وأخذ بدلا منها درعا قديما كان فيه منذ حرب طروادة . بينما وضع صديقه هيفاستيون اكليلا كبيراً على قبر باتروكلوس ، صديق آخيل .

يقول بلوتارخ :

« وقد عطر الاسكندر بالزيت ضريح آخيل . ونزع مع بعض رفاقه (يريد هيفاستيون) ملابسهم ، وتباروا عرايا إلى جانبه ، كما كانت تقضى العادات . ثم وضعوا الاكاليل على الضريح . وأعلنوا أن آخيل كان فى حياته سعيداً ، إذ زامله صديق مخلص . ولحقته بعد وفاته شهرة واسعة » .

ثم تقدم الاسكندر إلى ابيدوس . وانحرف منها على رأس قواته شرقا ، لملاقاة الجيش الفارسى ، الذى كان قد اتخذ مواقعه خلف مياه نهر جرانيكوس ، قرب بحر مرمرة . وكان يقود الجيش الفارسى ، قائد اغريقى مرتزق ، هو ممنون . وبعض حكام وقواد الولايات الفارسية . ومنهم والى مصر وقتئذ : سباكس . وقد عرف ممنون أن الاسكندر كثيراً ما يعتمد فى هجومه ، الذى يقوده بنفسه ، على جناح جيشه الايمن . فوضع فى هذا الطرف المواجه له ، أى على جناح الجيش الفارسى الأيسر ، أفضل قواته الفارسية . ومن دون أن يعتمد كثيراً ، كعادة الفرس ، على الجنود الاغريق بين قواته . لعدم اطمئنانه اليهم فى مقاتلة الاغريق .

ويلاحظ أن مستشارى الاسكندر ، وعلى رأسهم بارمينيون ، قد عارضوا محاولة الاسكندر عبور نهر جرانيكوس . ولكن الاسكندر :

« رفض نصيحة بارمينيون . مع انه كان يعلم انه لم يقل إلا الحق . ولكنه خجل من أن يعبر البحر الأسود بسهولة . ثم يعطله نهر صغير مثل جرانيكوس . ولم يكن يظن أن تأخير عبوره ، يليق بالمجد المقدونى الذى يبتغيه . أو الأخطار التى كان عليه أن يتخطاها . بل بالعكس ، فان تأخير عبوره للنهر ، قد يشجع الفرس على مقاومته » .

وأما العرافون فقد وجدوا أن شهر دازيوس قد بدأ . وهو شهر « نحس » كما قالوا . ومن الواجب تأجيل المعركة حتى نهايته .

ولكن الاسكندر عارض هذا أيضا . وأمر بادخال شهر جديد على التقويم ، فجعل شهر ارتيمويوس شهران : أول وثان ! .

* * * *

وعندما واجهت قوات الاسكندر ، مياه نهر جرانيكوس . دفع الاسكندر بمشاته لمهاجمة جيش ممنون الفارسى . حتى ظن ممنون ، أن الاسكندر ، قد عقد النية على خوض المعركة بمشاته .

ولكن الاسكندر اندفع فجأة على رأس فرسانه ، قاطعا مياه النهر ، ومتجها من يمين ميدان المعركة ، إلى يسارها . وهو يصيح فى فرسانه : إلى الأمام . وكونوا رجالا ! .

ومن خلفه فرسانه ، وهم يصيحون صيحتهم التقليدية : الا لا لا لا لاويه!

وعندما بلغت فرسان الاسكندر وسط ميدان المعركة ، انحرف بهم

الاسكندر فجأة إلى وسطها . قاصداً فى سرعة كبيرة المضبة التى كان يقف فوقها ممنون وقواده . وقد استطاعوا بسهولة فتح ثغرة فيها . سرعان ما تدفقت خلالها ، من خلف فرسانه ، بقية قواته الأخرى .

يقول أريان :

« وفى وسط هذه المعمعة ، انكسرت حربة الاسكندر . فنادى على أريتس ، أن يسلمه حربته . ولكن حربة أريتس كانت قد كسرت هى الأخرى . وقد أظهرها له أريتس . ونادى أريتس على ديمراتوس ، أن يسلم حربته للاسكندر .

« وعندما رأى الاسكندر ، وفى يده حربة ديمراتوس ، مثيراداتيس ، زوج ابنة الامبراطور الفارسى دارا الثالث أمامه . قذفه بحربته فى وجهه . وقتله . وفى هذه الأثناء هاجمه حاكم ايونيا الفارسى رويزاكيس ، وضربه على خوذته ببلطته . ولكن الضربة لم تفقده غير جزء صغير من خوذته .

« وفى الوقت الذى تأهب فيه . بيثراداتيس لضرب الاسكندر ببلطته . رأى كليتوس ، صديق الاسكندر ، ما الدور ، وعاجل بيثراداتيس بضربة من سيفه أطارت له ذراعه » .

وقد قتل فى هذه المعركة حصان الاسكندر . فاستبدله بآخر . واستمر فرسانه ومشاته « ينظفون » الميدان من جنود ممنون ، حتى

استسلم لهم فى النهاية ٢٠٠٠ جندي . وفر ممنون وبقية جنوده . بعد أن قتل منهم ١٥٠٠٠ جندى .

ولم يتكبد جيش الاسكندر إلا خسائر قليلة . كان من أهمها ٢٥ من خلصائه « الكومبانيون » . وقد أرسل الاسكندر رمادهم إلى ديون بمقدونيا . حيث دفنوا باحتفال كبير ، فى مقبرة تذكارية صممها ليزيبوس . كذلك أرسل الاسكندر إلى الاكروبوليس الاثينى ٣٠٠ درع من الدروع التى غنمها فى جرانيكوس ، ومعها رسالة :

« من الاسكندر ، ابن فيليب
إلى الاغريق ، ماعدا الاسبرطيين
أرسل هذه الغنائم التى غنمتها من برابرة آسيا » .

هروب دارا فى ايسوس

ثم تقدم الاسكندر بقواته بعد معركة جرانيكوس إلى عسكلبون . فحرر الميديين داخلها ، وأعاد العمل بقوانينهم التى كانت الامبراطورية الفارسية قد ألغتها . ثم أخذ يحرر المدن الأيونية المختلفة فى شمال غربى آسيا الصغرى : ايوليا ، وايونيا وغيرهما . ويمد النفوذ المقدونى على أنحاء شبه الجزيرة . وقد رحبت به أكثر المدن . وقام بعضها ، مثل ايفسوس ، بالثورة على الفرس ، عندما أحست باقتراب جنود الاسكندر منها . وقد ألغى الاسكندر « الجزية » التى كانت تدفعها هذه المدن . واستبدلها بضريبة أو مساعدة صغيرة .

وكان فى ايفسوس فنان اغريقى شهير يسمى أبيليس Apelles . رسم للاسكندر أشهر صورة له فى العالم القديم . ويقال ان حصان الاسكندر بوكيفالاس ، قد أجفل عندما رأى تلك الصورة ، إذ ظنها الاسكندر نفسه . وقد علقت هذه الصورة فى معبد ارتيمس قديما . وفقدت بعد ذلك . وأما فى العالم القديم والوسيط ، فقد انتشرت للاسكندرية عدة صور ، نزين ببعضها هذا الكتاب .

ولعل من المبالغة القول ، بأن الاسكندر قد لقى مع جيشه الترحيب فى كل مكان حل فيه فى آسيا الصغرى . فقد لاقى المقاومة فى ملطية . واحتاج إلى أن يخوض قتالا عنيفا فى هاليكارناسيس (الآن بدروم فى تركيا) . وكانت المعقل الأول للفرس فى آسيا الصغرى .

كذلك طرد جيش الاسكندر من عدة مدن فى آسيا الصغرى ، وأعاد الاسكندر احتلالها . وقد حارب الاسكندر كاريا ، ملك بيكسودار ، الذى كان قد فكر فى الزواج بابنته ، عندما أراد فيليب تزويجها بشقيقه ارهيدايوس . وأعاد الاسكندر إلى عرش كاريا ، ملكتها إدا .

وكان لادا قصة حزينة . فان شقيقها موزولاس ، اغتصب عرشها . ولما مات ، اضطرت إلى أن تتزوج ابنه (ابن شقيقها) . وكان يصغرها بعشرين عاما . ولم تنجب منه .

ثم توفى زوجها . واغتصب العرش شقيق آخر ، هو بيكسودار السابق الاشارة إليه . ثم اغتصب الفرس الحكم من الأخير .

وعندما دخل الاسكندر كاريا ، واستقبلته إدا ، طلبت منه شيئا واحداً ، هو أن تصبح أماً له !

وقد وافقها الاسكندر . وأخذ يلقبها بأمى . ويقف فى حضرتها ، واضعا يديه على صدره ، حتى تأذن له بالجلوس ! . وكانت تصنع له الملابس التى تقيه برد الشتاء . والحلوى التى تسيل لعابه . وقد أرادت أن تهديه بعض خدمها ممن يجيدون صنع الحلوى . ولكن الاسكندر رد عليها :

« ان معلمى ليونيداس قد منع عنى الحلوى منذ كنت صبيا . وذكر لى أن أفضل المشهيات فى الصباح هى مسيرة الليلة السابقة . وأن أفضل المشهيات فى العشاء هو أفطار خفيف » .

* * * *

وعندما دخل الاسكندر ليكيا ، بلغه أن سميه الذى كان قد عفا عنه عقب مقتل فيليب ، اسكندر ايروبيس ، قد تآمر عليه مع الملك الفارسى دارا الثالث . فأرسل من قبض عليه . واحتجزه شهوراً ، قبل أن يأمر بقتله .

وفى هذه الأثناء ، كان الأسطول الفارسى قد عاد من مصر . وأخذ يطبق على مواصلات الاسكندر ، ويهاجم المدن الساحلية التى إحتلها . وخشى الاسكندر على اسطوله الصغير نوعا ، والذى كان يكلفه حوالى ١٦٠ تالنتا كل شهر . فأمره بالعودة إلى بلاده . وسرح بعض بحارته ، وألحقهم بجيشه .

وكانت خطة الفرس ، التى يقوم بتنفيذها ممنون ، هى السماح للاسكندر بالتقدم على البر . ومهاجمة خطوطه البحرية . ولكن ممنون توفى فى آخر هذا العام . وبدأ الملك الفارسى دارا الثالث يتأهب لمعركة فاصلة مع الاسكندر .

وكان الاسكندر قد أطبق فى بداية الشتاء على جورديون ، عاصمة فريجيا . وقضى فيها شهوراً . وقد سمح خلال مقامه بها ، بالاسطورة الشهيرة التى كانت تقول : إن الآله الاغريقى تزيوس قد أعلن أن أول

من يدخل معبده فيها بعربة ، سوف يصبح ملكا على فريجيا .

وفى أحد الأيام ، دخل فلاح فريجى يسمى جورديون معبد تزيوس بعربته . فتوج ملكاً عليها . وكان بعربة جورديون « عقدة » حار الناس فى حلها . وذكرت الأسطورة ، أن من يحل تلك العقدة سيصبح سيداً على آسيا .

وقد ذهب الاسكندر إلى معبد تزيوس ، وحاول أن يحل عقدة جورديون . ولكنها كانت شديدة التعقيد . وقد ظهر بعد هذا انها كانت تضم أكثر من عقدة واحدة . ولكن الاسكندر ، عندما أخفق فى حلها ، أخرج سيفه ، وضربها به . فقطعها ! .

وفى تلك الليلة « أمطرت السماء بشدة » دلالة على رضاء الآله تزيوس على ما فعله الاسكندر . وفى الصباح ، قدم الاسكندر للآلهة قرابين كثيرة .

* * * *

وفى بداية الربيع ، ترك الاسكندر جورديون إلى الساحل الكاليسى . وقاد جنوده عبر أرض صعبة ، وممرات ضيقة فى طريقه إلى طرسوس . وعندما مر بنهر سيندس ، أراد أن يستحم فى مياهه المثلجة . وكان متعباً ومجهداً ، مما جعله يمرض بالحمى بعد ذلك بأيام . ثم أشتد عليه المرض ، وتحرجت حالته ، حتى أمتنع أطباؤه عن علاجه . إلا طبيباً واحداً ارمنياً ، كان يسمى فيليب أكارنيان . وقد صنع له فيليب دواء ، وقدمه له كى يشربه ، فى الوقت الذى كان الاسكندر قد تلقى فيه خطابا من قائده بارمينون ، يقول فيه أن الفرس قد اشتروا ذلك الطبيب . وأنه

سيحاول أن يقتله بدواء يصنعه له ! .

وقد احتفظ الاسكندر بخطاب بارمينيون تحت وسادته . فلما جاءه طبيبه ، ناوله الاسكندر الخطاب كي يقرأه ، في نفس الوقت الذى أخذ فيه الاسكندر يشرب دواء الطبيب . ويقال أن الطبيب قد تمتم للاسكندر : انك تستطيع أن تأتمننى . وأن الاسكندر قد هز رأسه موافقاً ! .

يقول بلوتارخ :

« وكان منظراً غريباً ، ويليق بخشبات المسارح . فأحدهما يقرأ الخطاب . والآخر يشرب الدواء . حتى إذا إنتهيا ، نظر كل منهما للآخر من دون أن يتفوه بكلمة » ! .

وقد اندفع الاسكندر ، بعد طرسوس ، جنوباً . وبعيداً عن ساحل البحر . في الوقت الذى كان فيه دارا ، قد عبر بجيشه الكبير ، والذى قدره المؤرخون بحوالى ٦٠٠٠٠٠ جندى ، نهر الفرات . وأندفع شمالاً بغرب لملاقاة جيش الاسكندر .

وكان دارا « طويلاً ، عريض المنكبين ، بشوش الطلعة » . ويقال أنه كان باراً بأسرته . وقد أشتهر منذ صباه بالشجاعة . وقتل بيديه خلال إحدى الثورات أحد الثائرين . وقد حكم ارمينيا وميديا ، قبل أن يلي رئاسة الامبراطورية الفارسية .

وقد تنبه كل من دارا والاسكندر ، في وقت واحد تقريباً ، إلى تخطيهما ، كل منهما للآخر . فتراجعا على اعقابهما . ولكن الاسكندر تراجع بسرعة طوال الليل . بينما تباطأ دارا بجيشه الكبير ساعات .

ولما جاء الصباح ، كان جيش الاسكندر قد فاجأ جيش دارا ، عند سهل ضيق ، ينحصر بين الجبال والبحر . وأدى ضيق المكان إلى أن يحرم جيش دارا من ميزته العددية .

وإلى أن يصطف فى صف واحد طويل ، على طول ذلك السهل . بينما وقف قبالته جيش الاسكندر ، بعمق لم يزد فى بعض الأمكنة عن ٨ جنود فقط .

وقد بدأ الاسكندر القتال كعادته . فدفع جناحه الأيمن ، المؤلف من رماة الأقواس ، نحو فرسان دارا ، الذين حاولوا الالتفاف حوله . وعندما دفع دارا بفرسان آخرين إلى الجناح الأيسر ، تصدى لهم بارمينيون . ثم أرسل الاسكندر لبارمينيون الفرسان الثيسيليين الأشداء لمساعدته .

وقد قاد الاسكندر فرسانه ، على الجانب الأيمن من ميدان المعركة . واستطاع رغم شدة السهام الموجهة إليهم ، أن يخترق بهم صفوف الفرس . ثم أن ينحرف إلى وسط ميدان المعركة . حيث كان الفلانكس الاغريقى قد أخذ يلقى بثقله كاملًا فى القتال .

وكان جيش دارا يتألف من مرتزقة كثيرين ، بعضهم من الاغريق . وعندما أحس هؤلاء المرتزقة ، باندفاع فرسان وفلانكس الاسكندر إلى وسطهم ، كانوا أول الفارين . ثم تبعهم دارا ، فأدار عجلته الحربية ، وفر بها هو الآخر .

وقد فر من خلفه بقية قواده وحكامه وجنوده .

وقد أرجع المؤرخون الفضل فى نصر ايسوس إلى شخصية

الاسكندر ، وبسالة خلصائه (الكومبانيون) . وقيل أن جيش الاسكندر لم يخسر سوى ٥٠٠ جندى . وجرح هو نفسه فى فخذه . بينما تجاوز عدد القتلى من بين الفرس ١٠٠٠٠٠ جندى .

وقد تابع الاسكندر دارا حتى أسفل الجبل . حيث وجد عربته الحربية ودرعه وروبه الملكى . وكان دارا قد تركها كلها ، وفر على حصانه . وقد عاد بهم الاسكندر إلى معسكر دارا فى ايسوس . وكان بارمينيون ، وبقية قواده وجنوده ، قد سبقوه إلى هناك . وأعدوا له خيمة الملك الفارسى وبداخلها حمامة الفاخر . وبسطوا له مائدة عامرة بالطعام . حتى أن الاسكندر ، لم يتمالك عندما رآها ، من أن يقول : اذن ، فهذا هو ما يأكله الملوك ! .

وكان دارا قد ترك والدته وزوجته وأطفاله فى معسكره . وعندما رأوا درعه وروبه مع الاسكندر ، ظنوا أنه قد مات . ولكن الاسكندر أرسل لهم ليوناتوس ، الذى كان يتكلم الفارسية ، كى يخبرهم أن دارا لم يقتل . وأنه قد فر فوق حصانه . وأمر بأن يعاملوا معاملة الملوك .

وفى اليوم التالى ، زارت والدة دارا وزوجته الاسكندر . وقد وجدوه مع هيفاستيون . وكان هيفاستيون على ما ذكرنا ، أطول قامة ، وأبهى صورة ، من الاسكندر . فانحنوا على أقدامه ، طالبين غفرانه . ولكن هيفاستيون تراجع ، حتى تنبهوا إلى خطأهم . فقاموا معتذرين . ولكن الاسكندر طمأنهم . وقال لهم أنهم لم يرتكبوا أى خطأ . « فانه هو أيضا الاسكندر » .

وكانت زوجة دارا غاية فى الجمال . وقد دهش قواد الاسكندر

وجنوده ، وبعد ذلك مؤرخون كثيرون ، أن الاسكندر لم يتخذها خليلة له . ولكن الاسكندر ، كان ، كما قيل ، يعتبر جمال النساء « عورة للعين » . ويقول « ان الحب كالنوم ، يذكر الانسان بالفناء » ! .

وعندما ذهب بارمينيون إلى دمشق ، لاحضار بقية كنوز دارا ، أحضر معه صندوقا ذهبياً كبيراً مملوءاً بالجوهرات . ولكن الاسكندر أفرغه مما فيه . ووضع فى داخله نسخته من « الالياذة » التى ذيلها له أرسطو . وكان يقرأ منها فى كل ليلة .

ومما أحضره بارمينيون للاسكندر أيضاً ، زوجة ممنون السابقة ، وابنة ارتابازوس ، المسماة بارسين Barsine . وكانت اغريقية ، ومن أقرباء اوليمبيا ، والدة الاسكندر . وقد عاشت فى صباها فى البلاط المقدونى مع الاسكندر . ثم تزوجت من شقيق ممنون . وعندما توفى ، من ممنون .

ويقول اريستوبوليس :

« وبناء على نصيحة بارمينيون ، تعلق الاسكندر بهذه المرأة النبيلة » .

حصار صور وغزة

وقد عرض دارا الثالث ، فى أعقاب هزيمته فى ايسوس ، الصلح على الاسكندر . وكتب له يتساءل عن السبب فى عداوته ومحاربته له . ويطلب الافراج عن والدته وزوجته (وقد توفيت بعد ذلك خلال ولادتها) وأولاده . عارضا أن يفتديهم بأى مبلغ من المال يحدده له الاسكندر .

ولكن الاسكندر ، الذى لم يعد يحتاج ، بعد استيلائه على كنوز دارا فى ايسوس ودمشق ، إلى أموال أخرى . رد على مبادرة دارا السلمية بكلمات متشددة . ذكره فيها بالعداوة القديمة بين الدولة الفارسية والأغريق . وبما ارتكبه زيريكسيس فى اليونان من فظائع . وقال له أن الامبراطورية الفارسية قد أصبحت من حقه ، بحق الآلهة ، التى رجحت كفته فى الحرب . وأنه إذا أراد أن يستعيد والدته وزوجته وأولاده ، فعليه أن يحضر لانتزاعهم منه بنفسه . وختم خطابه بأن على دارا ألا يخاطبه بعد ذلك مخاطبة الند للند ، وإنما العبد لسيد آسيا كلها ! .

وقد أرسل الاسكندر رسالته إلى دارا مع أحد ضباطه . فسلمها له .

ثم عاد بعد ذلك برسالة جديدة من دارا إلى الاسكندر . يعرض فيها الملك الفارسى على الاسكندر ، أن يفتدى اسرته بـ ١٠٠٠٠ تالنت . وأن يترك له جميع الأراضى الواقعة غربى الفرات . وأن يزوجه بإحدى بناته .

وقد أعلن الاسكندر هذا العرض لقواده . فأثار موافقة بعضهم . وقال له بارمينيون : لو كنت الاسكندر لقبلت عرض دارا .

ولكن الاسكندر رد على بارمينيون متهكما ، وأنا لا أشك أن هذا ما كنت أفعله ، لو كنت بارمينيون ! .

* * * *

وقد استمر الاسكندر فى زحفه جنوبا ، بعد أن أقام فى ايسوس ، أساس مدينة الاسكندرونة . فأحتل صيدا . ثم جزيرة رودس . وأخذ فى حصار صور .

وكانت صور وقتها جزيرة منيعة أمام الساحل السورى . وقد نجحت فى مقاومة القوات الفارسية قبل هذا بثلاثة عشر عاما . وظنت أنها تستطيع أن تستمر على حيادها ، وأن تقاوم الاسكندر ، مثلما قاومت الفرس .

ولكن الاسكندر حاصرها طوال ٧ شهور . مد خلالها مهندسه الثيسيلى دياديس ممراً برياً من الساحل السورى إلى الجزيرة ، رغم أن عمق البحر فى نهاية هذا الموقع كان يتجاوز ٢٠٠ متر ، ومع استبسال المدافعين عن الجزيرة فى صد المهاجمين عنها . وخروجهم كل ليلة ، لافساد ما يصنعه رجال الاسكندر كل يوم . وحرقهم للاطواق العائمة

التى ينزلونها للماء ، ويحملونها المنجانيقات الضخمة ، والآلات الموجهة للسهام وللهب . لتدمير التحصينات ، والقضاء على المدافعين .

وكانت السفن الفارسية تساعد المدافعين عن الجزيرة من البحر . ولكن الاسكندر كان قد أعاد تجهيز اسطوله . فجمع فى مواجهتها مئات السفن . وأخذ يهاجم الجزيرة من البر والبحر . ويمد إليها جسره من الساحل . تحت ستارة كبيرة أقامها من الجلود الخام ، التى تمتنع عنها النار .

ولكن ما أن اقترب هذا الجسر من الجزيرة ، حتى أرسل له المدافعون عنها ، سفنا تحمل زيتا وزفتا مشتعلا . وقضوا عليه .

ولكن الاسكندر أمر ببناء جسر أكبر . أقام فوقه سلالم خشبية . صعد عليها جنوده ، واستطاعوا اقتحام جدران القلعة . ثم الهبوط على المدينة . وقد قتلوا كل من بقى فيها من رجالها وجنودها . وكانوا أكثر من ٨٠٠٠ . وبيع النساء والأطفال ، وقدر عددهم بحوالى ٣٠٠٠٠ ، كعبيد . ويقال أن الاسكندر لم يعف إلا عن ملكها ، وبعض السفراء ، الذين لجأوا لمعبد هرقل فيها .

وقد ذهب الاسكندر فور دخوله صور إلى معبد هرقل . فضحى فيه . وقدم الهدايا لكهنته . وكان قد خسر خلال الشهور السبعة التى حاصر خلالها الجزيرة ٤٠٠ جندى مقدونى ، إلى جانب الجنود الأخرى الحليفة له .

ثم تقدم الاسكندر بجيشه جنوبا ، نحو غزة . فحاصرها شهرين . وفى اثناء ذلك ، حلق « طائر مفترس » فوق رأسه ، وأسقط عليه حجراً

كبيراً . وقال له العراف اريستاندروس : أنك ستحتل المدينة ، ولكن يجب أن تحذر لحياتك ! .

وكانت غزة القديمة مقامة فوق هضبة عالية . ويحكمها « خصى سمين وقبيح » يسمى باتيس . وقد استأجر للدفاع عنها عربا كثيرين .

وقد احتاج الاسكندر إلى أن يحفر تحت أسوار المدينة لاقتحامها . وبينما هو يتقدم جنوده ، انحنى عربى أمامه كما لو كان سيسلم له . ثم عاجله بطعنة خنجر بيده اليسرى . ولكن الطعنة لم تحدث بالاسكندر إلا خدشا بسيطا . ثم أصابه سهم قوى لأحد المدافعين فى كتفه . ويقول أريان : « ولم يشف الاسكندر من هذا الجرح إلا بصعوبة » ! .

وعلى عادة الاسكندر وجنوده ، فانهم كانوا يبطشون بالمدافعين ، كلما جرح الاسكندر . وقد قتلوا من أهل المدينة أكثر رجالها . وبيع الباقى من نسائها وأطفالها عبيداً . وأعاد الاسكندر بناء وتعمير المدينة ، من بين الجرحى من جنوده وسكان المناطق المحيطة بها .

ويقال ان الاسكندر هو الذى قتل بنفسه باتيس . وكان قد أحضر إليه جريحا . فأمر الاسكندر بشق قدميه . وتثبيت الحبال فيها . ثم ثبت الطرف الآخر للحبال فى عربته الحربية ، وأخذ يدور به بسرعة كبيرة حتى تمزق جسده .

وكان الثيسيليين يفعلون ذلك بالقتلة . إذ يثبتون أقدامهم فى عرباتهم ، ويدورون بها حول قبور من قتلوهم .

ويلاحظ أن اريان لم يشر إلى هذه القصة فى تاريخه . وربما خجل منها ، وأراد أن يبرىء الاسكندر من هذا العمل الوحشى . ولكن المؤرخ

الرومانى كونيتس كيرتيوس ذكرها نقلا عن قواد الاسكندر .

وقد اختار الاسكندر بعد دخوله غزة هدايا كثيرة ، أرسلها إلى والدته ، وشقيقته ، وبعض اصدقائه . كذلك أرسل لمعلمه السابق ليونيداس ، ما يساوى ٥٠٠ تالنت من الريحان (١٣ طنا) والمر (٣ أطنان) . وكان الاسكندر قد أكثر ذات مرة فى صباه من استخدامهما فى التبخير خلال صلواته . فقال له ليونيداس : لا تبذر فى استخدام هذه النفائس ، حتى تستولى على الممالك التى تنتجها . وإلى أن تفعل هذا ، لا تستخدم منها إلا قليلا ! .

وقد ارسل له الاسكندر مع هديته رسالة قال فيها :

« انى ارسل لك مع هذا كفايتك من العطور ، حتى لا تكون شحيحا فيها مع الآلهة » ! .

الاسكندر الأكبر فى مصر

وقد احتل جيش الاسكندر ، فى ديسمبر عام ٣٣٢ ق م ، رفح ، ثم العريش . وعبر حدود مصر وقتذاك ، عند فلوسيوم ، التى كانت تقع على مبعدة ٣٥ كيلومتراً شرقى بورسعيد ، عند مصب فرع النيل الفلوسى (الذى جف بعد ذلك) فى البحر الأبيض المتوسط . وبلغ الاسكندر ، بعد ٧ أيام ، فى نوفمبر عام ٣٢٢ ق م ، ومن دون أن يشتبك فى معركة واحدة ، هليوبوليس (عين شمس) . ثم منف .

وكان أحد المغامرين الاغريق ، المدعو امنتاس ، قد حاول عقب هزيمة الفرس فى ايسوس ، أن يغتصب حكم مصر . وقد حضر إليها مع ٨٠٠٠ مغامر فارسى واغريقى . وقد رحب به المصريون فى البداية . ولكنهم اشتركوا بعد ذلك ، مع الحامية الفارسية فيها فى مقاومته . ثم قتلوه . وشتتوا جميع أنصاره .

وعندما دخل الاسكندر مصر ، فى غيبة حاكمها سباكس ، الذى كان قد قتل فى ايسوس . سارع نائبه مزاكس ، بتسليمها له ، بكل ما كان فيها من تحف وأموال ، ومن دون أن يشترط غير خروجه سالما

منها . وكان فى خزائنها على ما قيل ٨٠٠ تالنت . إلى جانب نفائس كثيرة فى قصورها .

وقد توج الاسكندر فى منف « فرعونا » على مصر . وألبسه كهنتها تاج الوجهين القبلى والبحرى . وأقيم عقب الاحتفال ، حفل رياضى وموسيقى اغريقى ، حضره اغريق ومصريون .

ويلاحظ أن الاسكندر كان قد خرج بحملته ، ومعه علماء ومهندسون واطباء ومؤرخون وفنانون وأدباء وتجار . وأنه قد انضم إليه فى مصر فرق موسيقية ومسرحية ، قدمت عروضها لجنوده . خلال الحفلات والمهرجانات التى أقيمت بمناسبة انتصاره ، أو فى الحفلات الرياضية التى أشتهر بتنظيمها الاغريق .

وقد رحب المصريون القدماء بالاسكندرية ، كمحرر ومخلص لمصر . وكعادتهم ، كما قيل ، فى استقبال كل حاكم جديد . كما أن علاقتهم بالفرس كانت قد ساءت ، لتسلطهم بالعنف على أقدارها . وقسوتهم على أهلها . واساءتهم إلى كهنتها . وكان الفرس قد حاولوا القضاء على الديانة المصرية القديمة . وادخال آلهتهم إلى مصر .

ومع أن الكهنة المصريين قد نصبوا قمبيز ، عند دخوله مصر ، فرعونا عليها . فان قمبيز قد رفض ديانة المصريين القدماء . بل وذبح العجل المقدس أبيس . وشارك فى أكله ! .

وعلى العكس ، كانت العلاقات بين مصر والأغريق قوية ، من قبل دخول الاسكندر مصر . وقد سبق للاغريق أن ساعدوا المصريين القدماء فى ثوراتهم ضد المستعمرين الاجانب ، ومن بينهم الفرس . وأقاموا مع تجارهم علاقات واسعة .

ومما لا شك فيه أن الاسكندر ، كان على دراية تامة بما كتبه افلاطون عن مصر :

« وفى مصر ، لا يستطيع ملك أن يحكم من غير واسطة الكاهن . وإذا كان قد توصل إلى الحكم عن غير طريقه ، فان عليه أن يستعين به كي يستطيع أن يحكم شعبها » ! .

ويلاحظ أن الاسكندر لم يهتم كثيراً بالمصريين . ولكنه قبل عن طيب خاطر ، ان لم يكن عن اقتناع كامل ، أن يصبح فرعونا عليهم . وقدم القرابين المختلفة للآلهة المصرية . والهدايا لكهنتها . وأخذ يلقب نفسه بأبن آمون .

* * * *

وقد نظر المصريون القدماء للأغريق ، كأبناء ديانة وثقافة واحدة . وهناك من يقول أن أصل الحضارة الاغريقية ، وخصوصا حضارة كريت المنيوية ، هى مصر . ومن الاغريق القدماء أنفسهم من اعترف بذلك صراحة . فقالوا أن مصر هى أصل الحضارات . وأن المصريين هم الذين وضعوا أساس العلوم والثقافات . وأعترف بهذا هيرودوت حين قال : أن الاغريق قد اخذوا عن المصريين السنة الشمسية ، والآلهة الاثنى عشر ، ونحت التماثيل ، واقامة المعابد والمذابح .

كذلك تتلمذ على علوم مصر وثقافاتها ، أهم العلماء والمثقفون الاغريق . أمثال فيثاغوراس وسولون وهيكاتيوس وانكساجوراس وهيلاتيكوس . وحتى اشعار هومر ، قد مجدت مصر ، ووصفتها ببلاد العجائب .

وقد اتصلت مصر بالحضارة المنيوية اتصالا قويا خلال القرن ١٧ و ١٦ و ١٥ ق م . وأثرت الحضارة المصرية فى المنيوية بشدة . حتى تكاد تلك الحضارة أن تتماثل مع الحضارة المصرية .

ولما قضى على الحضارة المنيوية فى القرن ١٥ ق م ، قامت فى انحاء اليونان حضارة اغريقية خالصة ، تواصلت معها الحضارة المصرية . وأشتدت العلاقة بينهما منذ القرن السابع قبل الميلاد . حين قامت فى مصر مستعمرات اغريقية ، يسكنها اغريق . وأهمها نقراطيس على الفرع الكانوبى للنيل . وكان هو الفرع الغربى للنيل ، والوحيد الصالح للملاحة . وكانت نقراطيس تقع شرقى أبى قير الحالية . وقد اندثرت بعد ذلك .

وهناك من يقول أن المصريين القدماء ، لم يفرقوا بين اغريق كريت واغريق اليونان . وانهم قد كانوا جميعاً ، أمام حضارة المصريين القدماء المغلقة نوعا ، والمكتفية ذاتيا « شعوب اغريقية » و « ما وراء البحر » . ومهما كان الأمر ، فان اتصالات المصريين القدماء بميليتس بعد ذلك ، كادت تبلغ قوة اتصالاتهم الاولى بكريت .

ثم استعان الملك بسماتيك الأول بالاغريق فى دفع غزو النوبيين ، ثم الفرس ، لمصر . وقوى نفوذ الأغريق فى مصر فى عهد ذلك الملك ، حتى كونوا بعد ذلك « حرسا اغريقيا خالصاً » لامازيس .

ولكن المصريين ثاروا على تزايد نفوذ الاغريق فى بلادهم . مما جعل أمازيس يضم إلى ذلك الحرس عدداً من الجنود المصريين . ويأمر بأن يسمح للمصريين بدخول المدن الأغريقية فى مصر .

وعندما نجح الفرس ، فى عام ٣٤١ ق م ، فى طرد آخر الفراعنة المصريين ، الذى لقبه الاغريق باسم نيكتانيبو ، ضعف نفوذ الاغريق فى البلاد . وأنفرد الفرس بها طوال الأعوام العشرة التالية ، حتى دخلها الاسكندر .

ولهذا لم ينظر المصريون إلى الجيش الاغريقى ، بقيادة الاسكندر ، كمستعمرين وغاصبين . كما سبق أن نظروا إلى الفرس . وإنما كمحررين ومخلصين . جاءوا يردون لهم استقلال بلادهم . ويعيدون إليهم ديانتهم القديمة . وإلى عرشهم فرعونهم .

ويقال ان الاسكندر قد أكد لهم هذا الانطباع ، حين اعتبر نفسه ابنا لآخر فراعنتهم نيكتانيبو . وأن هذا الفرعون ، الذى أشتهر كأسلافه جميعا بالسحر ، قد استحال إلى أفعى كبيرة . ضاجع ، على ما سبق وأشرنا ، والدته اوليمبيا . فانجبت منه الاسكندر .

بل ان الاسطورة القديمة ، قد أضافت إلى ذلك ، أن الاسكندر قد قتل نيكتانيبو بعد ذلك ، ودون قصد ، حين صحبه لاستخراج الماء من بئر عميق . دفعه فيه . فوقع . ومات ! .

الاسكندر ابنا للآله آمون

وقد قضى الاسكندر شهور الشتاء فى منف ، ينظم شئون مصر السياسية والإدارية . وقد جعل فيها ثلاث سلطات مختلفة : حربية ومدنية ومالية . وجعل على الاخيرة كليومينيس . وعلى الوجهين القبلى والبحرى حاكمين ، هما دولاسيفس وفيتسيس . وعلى قيادتها العسكرية قائدين ، هما بوكيستاس وبالاكروس . بالاضافة إلى قواد الحاميات والفرق العسكرية المختلفة .

ويقال أن كبير علماء الاسكندر ، كالسثينيس ، قد ذهب خلال تلك الشهور إلى الصعيد ، حيث بحث أسباب فيضان النيل .

وفى بداية عام ٣٣١ ق م ، أخذ الاسكندر سفينة من منف ، على فرع النيل الكانوبى ، فى أقصى غرب الدلتا ، إلى كانوب . ومن هناك ذهب إلى راكودة ، شرق أبى قير الحالية ، وعلى مبعدة حوالى ٧٠ كيلو متراً غربى نقراطيس . وكان بها حصن فارسى . فوضع فى ٢١ يناير عام ٣٣١ ق م أساس مدينة الاسكندرية .

وقد أراد الاسكندر لمدينته أن تكون ميناء هاما ، ينقل منه خيرات

مصر الوفيرة إلى بلاده . وحلقة تربط بين الموانىء الأغريقية فى الشمال الشرقى ، وأنحاء البحر الأبيض المتوسط . وكانت الدويلات اليونانية قد أخذت تبرز كقوة بحرية . والسفن البحرية قد أخذت تكبر للوفاء بالعلاقات التجارية المتزايدة . والتطورات العسكرية والسياسية التى شهدها حوض هذا البحر .

ويقول بلوتارخ ان الاسكندر قد اختار موقع الاسكندرية « بعد أن حلم ذات ليلة ، أن هومر قد ظهر له فى صورة شيخ جليل » وأنشد عليه بعض أبيات « الالياذة » . ومنها :

« وهناك ، وسط مياه البحر الصاخبة

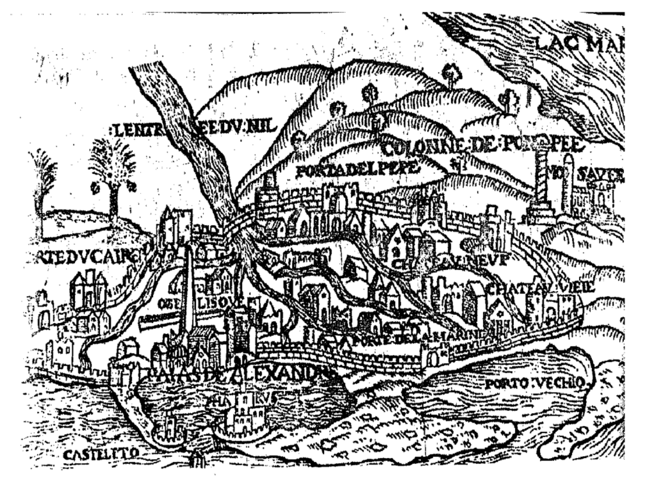
« أمام مصر

« جزيرة

« يسميها رجالها فاروس » .

وتقول الاسطورة ان الاسكندر عندما ذهب إلى الموقع الذى حدده له هومر ، وجد قرية صيد صغيرة ، كانت تسمى راكودة . تستمد وجودها من أزمنة المصريين القدماء ، حين كانت تسمى « رع كدميت » . وكانت راكودة فوق ربوة عالية من الحجر الجيرى . ومن أمامها ، على بعد ٥ كيلومترات ، تمتد بحذائها جزيرة فاروس . ومن خلفها بحيرة مريوط . وكانت راكودة قريبة من الفرع الكانوبى للنيل ، مما يسهل تزويد سكان المدينة الجديدة بالمياه .

وقد كلف الاسكندر مهندسه الروديسى دينوقراط بتصميم مدينته . فجعلها دينوقراط على شكل مستطيل ، يمتد بطول شاطىء القرية



أول خارطة للاسكندرية

الموازى لجزيرة فاروس . ويقطعه شوارع واسعة طولية وعرضية .

وقد بهر تصميم الاسكندرية كل من زارها فى العصور الوسطى والقديمة . فأشادوا جميعاً بنظافتها ، وبناياتها الحجرية الضخمة ، واتساع شوارعها ، وكمال مرافقها .

وقد نفذ تصميم دينوقراط مهندس مدينة نقراطيس الاغريقى كليومينيس .

ويذكر بلوتارخ أن الاسكندر هو الذى حدد لدينوقراط تصوره لخارطة المدينة . بل وربما اشترك الاسكندر مع دينوقراط فى وضع معالمها الرئيسية ، وتحديد أماكن قصورها ، ودور الحكومة فيها ، ومكتبتها ، وساحات اللعب واللهو فيها ، ومينائها ، ودور سكانها .

ولكن الاسكندر لم يشهد بناء مدينته . كما أن عينيه لم تقع عليها بعد بنائها .

ويقول بلوتارخ ، ان دينوقراط قد خطط لمدينته بمسحوق طباشيرى . فلما نفد ، استعان فى تخطيطها بدقيق جنود الاسكندر . ولكن الطيور حطت على هذا الدقيق فأكلته . وارتاح الجميع لهذا « الفأل » إذ قالوا أن المدينة ستجد طعاما كافيا لسكانها ! .

ويقال أيضا ، أنه عند اتمام بناء الاسكندرية ، نقل اليها الاغريق قسرا ، بعض سكان القرى المجاورة . ومنها كنوبيس . ثم سكنها اغريق ويهود كثيرون . وبلغت المدينة ذروة مجدها خلال حكم البطالمة بين القرون الثالث والأول قبل الميلاد .

* * * *

ويقول اريان ، ان الاسكندر ، قد تملكته الرغبة ، بعد وضعه لأساس مدينة الاسكندرية ، لزيارة معبد آمون فى سيوة ..

« لأن نبوءة آمون كانت لا تخيب . ولأن بيرسياس وهرقل ، اللذان كان الاسكندر يعجب بهما ويقلدهما فى كل شىء ، قد استشاراه . وقد انحدر الاسكندر منهما . وكان الاسكندر يحب أن يذكر أن آمون كان أبوه . كما كان تزيوس أبا لبيرسياس وهرقل » .

وكان فى مصر القديمة ، على ما هو معروف ، آلهة كثيرة . ولكن أشهرهم عند الاغريق كان آمون ، الذى كان قد أصبح قبل هذا بقليل

كبير آلهة مصر . وقد طابق عند الاغريق كبير آلهتهم تزيوس . وكان لآمون معابد كثيرة فى انحاء مصر . ولكن أشهرها عند الاغريق كان معبده فى واحة سيوه . الذى كان يقابل عندهم معبد ديلفى . وكان الاغريق يعتقدون اعتقاداً قوياً ، فى قدرة آله ذلك المعبد على التنبوء بالأحداث . وقد استشاره منذ القرن السادس قبل الميلاد كثيرون من عظمائهم . ومن بينهم كروزاس ، وفنداروس ، واوريفيدس ، وهرقل .

وكانت لآمون سيوه شهرة واسعة فى اثينا وثيبه واسبرطة ، على وجه الخصوص . وكان للشاعر الثيبى بندار ، الذى أشرنا إليه ، قصيدة بديعة عنه . وقد ابتنى بندار محرابا صغيراً لآمون أمام منزله .

وقد ترك الاسكندر موقع الاسكندرية متجها إلى الغرب ، حتى باراتونيون (مرسى مطروح) . ثم أتجه منها جنوبا إلى واحة سيوه ، حيث معبد آمون . أو « المعبد المنفرد الذى كان يظلله النخيل » .

ويقال أن الاسكندر ورفاقه ، قد ضلوا طريقهم فى الصحراء ، بين باراتونيون وسيوه . ولكن آمون أرسل إليه (كما يقول بطليموس الذى رافقه فى رحلته) حيتان من الكوبرا المصرية . أخذتا تنشران جسمهما فى الهواء ، وتقودان موكب الاسكندر فى طريقه !

بينما يذكر اريستوبوليس ، أن آمون قد أرسل لهم طيوراً (وفى قول آخر غربانا) تقودهم فى طريقهم بالصحراء . وأنه عندما نضب ماءهم أمطرت عليهم السماء بشدة .

ويلاحظ أن ادعاء كل من بطليموس واريستوبوليس ، ليس بعيداً تماما عن التصديق . فالكوبرا المصرية كانت تنتشر فى صحراوات مصر

بأكثر مما تنتشر الآن . ومن الطبيعى ، حين يقترب الانسان من إحدى الواحات ، أن يرى طيوراً . وأن تتجه هذه الطيور معه نحو الواحة . كما أن السماء قد تمطر بشدة فى هذه المنطقة .

وكان معبد آمون قد أقيم ، فوق ربوة مرتفعة فى الصحراء . تعلو عما حولها بحوالى ١٠٠٠ قدم . وقد انقسم المعبد إلى عدة غرف . أحداها صنعت من المرمر ، وخصصت للتتويج . وكان فى المعبد محراب للتنبوءات . وقد وصف القدماء هذا المحراب ، بأنه كان يتألف من غرفة واحدة متسعة ، يتوسطها زورق من الذهب . يضم فى داخله الوثن . ويذكر سترابو أنه قد رأى وثن معبد سيوه بعينيه . وانه كان يتألف من ١٤ قطعة مختلفة من الاحجار والمعادن الثمينة .

وقد تهدم معبد آمون بسيوة . ولم يتم الاثريون كشفه حتى الآن . ولكن ما بقى من جدرانه وأحجاره ، يظهر نقوشا بارزة . وألوان بعض هذه النقوش لازالت زاهية . وتمثل النقوش موكب الآلهة المصرية ، وهى تقدم فروض ولائها لآمون .

وعندما دخل الاسكندر معبد آمون فى سيوة ، طلب أن ينفرد بالوثن .

ويقول المؤرخ الاغريقى كليتارخوس ، ان الاسكندر قد وجه للوثن سؤالين محددين . تعلق الأول بمقتل والده فيليب . وهل أقتص تماما من قتله ؟ . وتعلق الثانى بآمال الاسكندر فى فتح آسيا . وهل ينجح فى تحقيقها ، ويصبح سيداً على آسيا ؟ ! .

ويؤكد المؤرخون ، ان الاسكندر ، عندما خرج من لقائه بآمون ، لم

يحدث أحداً بما ذكره . . اكتفى . أن قال أن إجابات آمون على اسئلته قد سرته . ثم كتب . والدته اوليمبيا . أنه سيقص عليها عند عودته ، كل ما قاله له آمون . ولكنه لم يفعل ذلك بالطبع لأنه لم ير اليونان مرة أخرى . ولم يلتق بوالدته بعد ذلك .

ويقول سترابو ان آمون كان يجيب على الأسئلة التى يلقيها عليه الاسكندر ، بتحريك رأسه ، أو شفتيه ، أو يديه ، أو التلفظ ببعض كلمات قليلة . وان هذا كان يتم ، وعن غير خفاء ، عن طريق أحد الكهنة الحاضرين . وأن زوار المعبد كانوا يرونه أمامهم ، وهو يحرك أعضاء الوثن أو يتمتم بكلماته . ويعتبرون أن الكاهن « يترجم » لهم ما يريد الاله أن يقوله ! .

ويلاحظ أن الاسكندر قد انتحل بعد زيارته لواحة سيوة ، صفة ابن آمون . أو صفة ابن آمون/ تزيوس . حتى فى الأقطار التى لم يكن فيها لآمون شأن . وعندما أرسل الاسكندر ، وهو بالهند ، لآمون سيوة ، يستشيره فى الطريقة التى يخلد بها ذكر صديقه هيفاستبون . أجابه آمون على سؤاله ، كما سيجىء . ثم طالبه بألا يضحى لآله غيره ! .

وقد لاحظ الاغريق المعاصرون للاسكندر ، والمؤرخون له بعد ذلك ، أنه قد أخذ يطالب ، بعد لقائه بآمون ، من يمثلون أمامه ، بالركوع له . وطاعته طاعة عمياء . وأخذت المدرسة الاغريقية المناهضة للاسكندر ، وهى المدرسة التى التفت حول معلمه أرسطو ، وابن شقيقه ، وكبير علماء الاسكندر ، ولقبت بالأرسطية . فى تصويره ، وقد جن بجنون العظمة . مما سنتحدث فيه ! .

كذلك ظهرت ، مع انتحال الاسكندر لبنوة آمون . الصورة التى تمثله وقد حمل قرنين مماثلين لقرنى الكبش المصرى ، فوق رأسه . والكبش هو الحيوان الذى كان يمثل الآله آمون فى مصر . وقد وضع هذين القرنين ، على صورة الاسكندر فوق النقود لأول مرة ، رفيقه ليزيماخوس ، حين تولى ملك ثراسيا ، عقب وفاة الاسكندر .

هزيمة دارا فى جواجاميلا

عاد الاسكندر ، بعد زيارته لمعبد آمون فى سيوه إلى منف . عن طريق وادى النطرون ، كما حدد بطليموس . وعن نفس الطريق التى اتخذها فى ذهابه إلى سيوه ، أى طريق باراثونيون ، كما يقول اريستو بوليس .

ثم مكث الاسكندر فى منف شهران . استقبل فيهما الوفود التى جاءت لتحيته ، وتقديم فروض الولاء له . وصرف ونظم شئون مصر . ثم غادر منف فى ربيع عام ٣٣١ ق م ، إلى سوريا .

ويلاحظ أن الاسكندر لم يمكث فى مصر غير شهور قليلة . وأنه لم ير أكثر أنحائها . وإن كان قد مد نفوذه فيها حتى الحدود الليبية والنوبية . وأستخدم جزيرة الفينتين الاسوانية فى سجن بعض أعدائه .

* * * *

وقد بقى الاسكندر فى صور شهوراً . وطد خلالها دعائم مملكته السورية ، وأخمد بعض القلاقل فى أطرافها . ثم بدأ حملته على الامبراطورية الفارسية . فعبر نهر الفرات فى اغسطس . وتقدم شمالا

بشرق إلى جبال ارمينيا . وهبط منها على سهول العراق . وفى سبتمبر عام ٣٣١ ق م ، عبر نهر دجلة .

وفى هذه الاثناء ، حدث خسوف كلى للقمر (٢٠ سبتمبر ٣٣١ ق م) . فانتهزها الاسكندر فرصة ، كى يقدم قرابينه ، لا للقمر وحده ، وإنما للشمس والأرض أيضاً ا .

ثم سمع بعد أيام من عبوره نهر دجلة ، واتجاهه بقواته جنوبا ، أن دارا قد أعد له جيشاً كبيراً . وتقابلت طلائع جنود الاسكندر بعد ذلك مع فرسان دارا . وعرف الاسكندر من بعض أسراهم ، أن حشود دارا قد تجمعت عند قرية جواجاميلا . فاستحث الاسكندر جنوده على التقدم ، حتى وجدوا أنفسهم فى صبيحة أحد الأيام ، أمام الحشد الكبير الذى حشده له دارا .

وقد راع هذا الحشد الاسكندر . ويقال انه قد رأى امامه ١٠٠٠٠٠ نار صغيرة ، يتجمع حولها أكثر من مليون جندى فارسى ا .

وقد ضم هذا الجيش ٤٠٠٠٠ فارسا . و ٢٠٠ عربة حربية ذات مناجل ، وقد ثبتت فى عجلاتها شفرات حادة وقاتلة . و ١٥ فيلا . كما أن دارا كان قد حاول أن يطور أسلحة جنوده ، كى تصبح على قدم المساواة مع الاسلحة الحديثة التى استخدمها جنود الاسكندر فى ايسوس .

ولهذا ، قرر الاسكندر أن يريح رجاله . وأن يفحص المنطقة التى ستدور فيها القتال . ويقال أيضا أنه قد وجد فيها بعض « المصائد » التى

أعدها دارا لجنوده . بينما وجد منطقة أخرى ، قد مهدها العاهل الفارسى لسير عرباته الحربية .

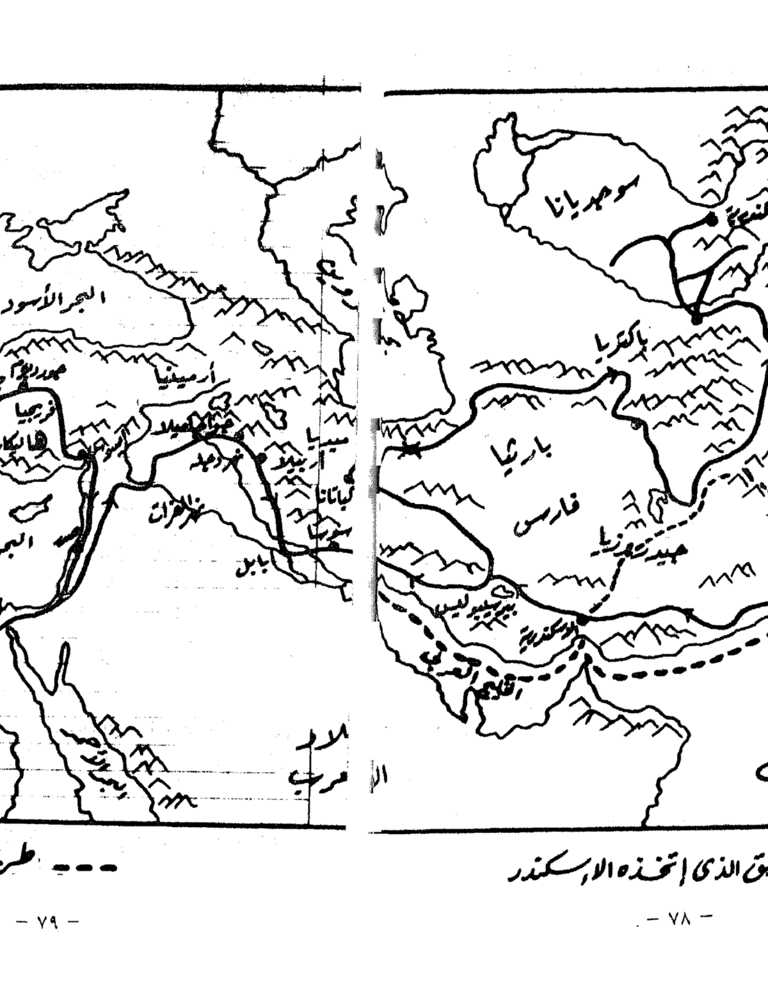
ويقال ان الاسكندر قد استشار قواده فيما يفعله . فنصحوا جيمعا بأن يهاجم الاسكندر دارا ليلا . ولكن الاسكندر رفض هذه النصيحة . ورد على بارمينيون الذى تقدم له بها قائلا : اننى لن أسرق انتصارى على دارا ! .

ويقول ايريان :

« ان الاسكندر قد ظن ، ان انتصاره على دارا ، بعد هجوم خفى فى الليل ، لن يؤكد الاعتراف ، بأنه قائد أفضل من دارا . يقود جنوداً أفضل من جنوده » .

والحقيقة أن الاسكندر كان يرى أن حربه مع دارا هى حرب « ارادة » قبل أن تكون حرب « رجال » . وان أثمن ما يملكه أمام عدوه ، هو روح رجاله المعنوية . التى كان يريد أن يحافظ عليها ، وأن يقويها . وأنه كان يظن أنه بجيشه الصغير ، لن يستطيع ، بدون روح جنوده المعنوية القوية ، أن يستولى على الامبراطورية الفارسية ، بكل ما تملك من أرض ورجال وأموال وامكانيات ضخمة .

ويقال ان الاسكندر قد أراح جنوده ٤ أيام . قدم خلالها القرابين للآلهة . وان مما قدمه لها فى ذلك الحين ، ضحية انسانية من بين جنوده ! . وأنه ، فى ظهر اليوم الخامس ، خرج بهم للمعركة . وكان الجنود الفرس قد قضوا تلك الأيام ، وهم على أهبة الاستعداد لملاقاته ، متوقعين أن يهاجمهم الاسكندر فى أية لحظة .



ق الذي إتخذه الاسكندر

--- طر

وكان دارا قد نظم جنوده فى وحدات متراصة إلى جانب بعضها ، محاولاً أن يتلافى الخطأ الذى وقع فيه فى ايسوس ، حين وقفت أمام جنود الاسكندر فى صف واحد طويل . وقد وضع دارا أمام وحداته ، عرباته الحربية فى أربع مجموعات . وجمع أفياله فى الوسط .

وعندما تحرك الاسكندر بفرسانه من يمين الوسط ، نحو أقصى يمين الجبهة . تقدمت الفلانكس الاغريقية لحمايته . ولكن الفرسان الفرس تقدموا ، بقيادة مازيوس من اليسار ، وبيسوس من اليمين . وألتفوا حول جناحى جنود الاسكندر ، محاولين تطويق جيشه . وكان دارا يمنى نفسه بأن يقضى على الاسكندر وجيشه قضاء تاما وكاملا .

وقد واجه بارمينيون على اليسار ، فرسان مازيوس بشجاعة . ولما لم يستطع بجنوده القليلين وقف هجومه ، أرسل يستغيث بالاسكندر . ولكن يدى الاسكندر كانتا مغلولتين ، بحيث لم يستطع اغاثته . وقد تقدم مازيوس حول بارمينيون ، حتى بلغ مؤخرة جيش الاسكندر . ودخل معسكره . وقتل من فيه من طباخين وخدم ! .

وكان بالمعسكر والدة دارا . ولكنها بقيت هادئة ! .

ولكن مازيوس توقف ، واستدار على عقبيه . وعاد بجنوده إلى الخلف .

والسبب فى هذا ليس واضحا . ويقال أن هذا المرتزق الاغريقى كان قد عقد اتفاقا سريا مع هيفاستيون . وان الاسكندر قد كافئه بعد ذلك بتنصيبه ملكا على مملكته ! .

رأما هجوم بيسوس على اليمين ، فقد نجح الاسكندر فى تعطيله . فى

الوقت الذى أفشلت فيه الفلانكس الاغريقية هجوم العربات الحربية عليها . بالسماح لها بالمرور من بين صفوفها ، ثم تصيد جنودها وخيولها فى مؤخرتها ، وقتلهم .

وكانت السهام قد أخذت تتدفق على فرسان الاسكندر فى تقدمه نحو اليمين ، حين أمر بتغيير اتجاههم فجأة نحو قلب جيش دارا . بينما كان تحرك بيسوس ناحية اليمين ، قد أوجد فراغا بين جناحه وبين القلب . وهو المكان الذى كان يحتمى فيه دارا وقواده . وقد استغل فرسان الاسكندر فرصة ظهور هذه الفجوة ، فتقدموا ، ومن خلفهم الفلانكس الاغريقية بكل قوة ، للسيطرة على القلب .

وعلى ما فعل دارا فى ايسوس ، فانه لما وجد القتال حوله قد اشتد . وقد تحولت المنطقة إلى فوضى . نزل عن عربته الحربية ، وركب حصاناً أسرع به إلى المؤخرة . وسرعان ما تبعه قواده ، وجنوده ، و « ذاب قلب الجيش الفارسى تماما أمام جيش الاسكندر . وانهارت خطو الفرس . بينما تراجع بيسوس ، وبعد ذلك مازيوس ، محاولين التدخل فى الكارثة التى حاقت بجيشهم . ولكن هذا التراجع مكن بارمينيون على اليسار ، وقواد الاسكندر على اليمين ، من أن يكيلوا لهم الضربات القاصمة .

وأما الاسكندر ، فقد أسرع مع بعض جنوده خلف دارا . وترك بارمينيون لانهاء المعركة ، وجمع الأسرى والغنائم . وقد تتبع الاسكندر خطى دارا حتى أربيلا ، على مبعدة حوالى ٦٠٠ كيلومتر من جواجاميلا . حيث عثر مرة أخرى على درعه وقوسه . وقرر التوقف . والعودة إلى بقية جيشه .

ثم تقدم الاسكندر إلى بابل . وكان يتوقع مقاومة أهلها لجيشه . ولكن حاكمها مازيوس سلمها له من دون قتال . ورحب به أهلها . وفتحوا له أبواب مدينتهم . بل وأضاءوا الطرق المحيطة بمعسكره ، بصب التربنتين فى قنوات المجارى ، واشعاله طول الليل . وقد أمر الاسكندر بالمحافظة على عاداتهم . وأبقى القوانين التى كانوا يعملون بها . وثبت مازيوس ، على ما ذكرنا ، حاكما عليها .

ويقال أن ٣٠٠٠٠٠ جندى فارس قد فقدوا أرواحهم فى جواجاميلا . وأنه قد استسلم للاغريق مثل هذا العدد . بينما لم يفقد الاسكندر من جيشه ، على ما يقول اريان ، سوى ١٠٠ رجل و ١٠٠٠ حصان ! .

اغتيال دارا

ثم ترك الاسكندر بابل ، وتقدم إلى سوسا . التى كان ينتقل إليها البلاط الفارسى صيف كل عام . وأرتقى فى الأخيرة العرش الفارسى الضخم . وقد احتاج الاسكندر إلى أن يستعين بمنضدة لبلوغه ! .
ووجد الاسكندر فى خزائن سوسا ٥٠٠٠٠ تالنت من الفضة ، وذهب وتحف ونفائس كثيرة . كذلك وجد فيها تمثالين اثينيين شهيرين من البرونز ، هما تمثالى هارمودياز واريستوجيتون . كان زيريكسيس قد حملهما معه ، عندما خرب أثينا قبل هذا بقرن . وقد أعادهما الاسكندر إلى موطنهما . وأعادت أثينا تنصيبهما فى مكانهما السابق .

وترك الاسكندر فى سوسا والدة دارا ، وبناته ، وابنه (الذين كانوا قد سلموا له فى ايسوس) . وأمر بتعليمهم اليونانية .

ثم أخذ الاسكندر يشق طريقه ، رغم قسوة الشتاء ، إلى العاصمة الفارسية بيرسيبوليس ، على رأس الخليج العربى . وكان يقال عنها انها « أغنى المدن على وجه الأرض » . وقد هاجم جيشه على الجبال المحيطة بها ، بعض الجنود الفرس . ولكن الاسكندر وجنوده ، تسلقوا إلى

ارتفاع حوالى ٧٠٠٠ قدم ، والتفوا حولهم ، وقضوا عليهم . ثم دخلوا فى يناير عام ٣٣٠ ق م بيرسيبوليس .

وقد عثر الاسكندر فى خزائن قصر زيريكسيس ببيرسيبوليس ، على كنز كبير ، يتألف من ١٢٠٠٠٠ تالنت من الذهب ، بالاضافة إلى التحف والنفائس الأخرى . ويقال أن الاسكندر قد حمل هذا الكنز فوق ٢٠٠٠٠ بغل و ٥٠٠٠ جمل . وأخذه معه . وقد أقام الاسكندر عقب دخوله بيرسيبوليس ، احتفالا كبيراً ، فى الفناء المجاور لقصر زيريكسيس . اشترك فيه المغنون والراقصون الاغريق ، تحت وهج المشاعل . وزينت أعناق الحاضرين بالأكاليل . وسكبت فوق رؤوسهم العطور . وقدمت لهم أشهى المأكولات . وأريقت أجمل الانبذة .

وقد استمر هذا الحفل طوال الليل . وعندما دنت ساعة الفجر ، وقد ثمل الجميع . وقفت الغانية الاثينية تاييس (عشيقة بطليموس ، وأم ثلاثة من ابنائه ، رغم انه تزوج بعدها من أخرى) فوق اريكة . وكانت الزهور تتدلى من رقبتها . وكأس النبيذ فى يدها . وقد انزاحت ملابسها عن كتفها .

وأخذت تاييس تنادى : أريد أن ألقى كلمة ! .

ولكن الحاضرين كانوا يقاطعونها ، ويتصايحون .

ومع ذلك لم تأبه تاييس لهم . واستمرت تقول :

« لقد حق لى أن أستمتع بهذه اللحظات السعيدة ، بعد كل المصاعب التى لاقيتها خلف بطليموس ، فى تقدمنا من بلادنا ، عبر آسيا ، حتى العاصمة الفارسية . وها أنذا

أتناول عشائى الآن إلى جوار أعظم القصور على الأرض . وعلى مسافة هائلة من اليونان » .

ثم رشفت تاييس رشفة من كأسها ، وقالت :

« ولدى فكرة طيبة ، تليق بهذا الاحتفال العظيم . لماذا لا نذهب إلى قصر زيريكسيس ولحرقه ؟ . اننى سوف أشعل النار فيه بنفسى . وسيتحدث التاريخ ، ان امرأة اثينية ، قد عاقبت الفرس بأكثر مما عاقبهم القواد الاغريق . لقد أحرق زيريكسيس معابدنا . ومنازلنا . ودمر مدننا . فلماذا لا أحرق أنا قصره ؟ » .

وقد علت صيحات وهتافات الحاضرين . ثم سكتوا . وتوجهوا بأنظارهم إلى الاسكندر . وكان كغيره قد أكثر من الشراب . وعندما تنبه إلى ما قالته تاييس ، ظن أنها فكرة رائعة . وقام بتقدم الموكب ، حاملا شعلته ، نحو قصر زيريكسيس . وعندما ألقى الاسكندر وتاييس بشعلتهما عليه ، تبعتهما شعلات كثيرة . وعلا الصياح والهتاف ! .

ولكن عندما بدت خيوط الفجر ، كان الاسكندر قد أفاق إلى ما حدث . وقد ندم . ولكن القصر كان قد أصبح رمادًا . وانهارت القاعة ذات الأعمدة الشهيرة فيه . فأمر الاسكندر باطفاء ما بقى من حرائقه .

ويلاحظ أن اريان ، وعدداً من المؤرخين الاغريق ، لم يشيروا إلى هذه القصة . وربما وجدوها تسيء إلى ذكرى الاسكندر . ولكن الحفريات الحديثة تؤيدها .

* * * *

وقد بقى الاسكندر فى بيرسيبوليس ٤ شهور . ذهب دارا خلالها إلى أكباتانا ، عاصمة ميديا (الآن حمدان) . وقد انضم إليه فيها بيسوس ، حاكم باكتريا ، الذى أخذ ينتزع منه الأمور شيئا فشيئا ، لاقتناعه أن دارا ، بعد فشله فى ايسوس وجواجاميلا ، لن يقوى على التصدى مرة أخرى للاسكندر .

وفى ربيع عام ٣٣٠ ق م ، بدأ الاسكندر يجند الفرس فى جيشه . وكان يريد تجنيد ٣٠٠٠٠ منهم . وان يحول فرق الدويلات الاغريقية والحليفة المختلفة فى جيشه ، إلى جيش واحد يتبعه . وقد عرض على بعض الوحدات فيه ، كالثيسيليين ، أن يعودوا إلى اليونان .

ولكن هذه الوحدات كانت ترفض عودتها المنفصلة إلى بلادها . حتى وان طالبت بعودة الجيش الاغريقى كله . كما أن الجنود الاغريق ، كانوا يعارضون فى المساواة بينهم وبين الجنود الفرس .

وعندما تقدم الاسكندر حتى أبواب اكباتانا ، علم أن دارا وبيسوس قد بارحاها إلى بارثيا . ومعهما ٩٠٠٠ جندى فارسى و ٧٠٠٠ تالنت من الذهب . فتعقبهم الاسكندر ، حاثا جنوده على الاسراع ، وعدم التوقف . وكانت الأرض غريبة وصعبة . وقد تعثر الرجال (على ما يقول اريان) . وماتت الخيول .

ثم علم الاسكندر أن بيسوس ، قد قبض على دارا ، ووضعه فى عربة ، تسرع به نحو باكتريا . فاختار الاسكندر بعض فرسانه الاشداء ، وأخذ يتعقب بهم جماعة بيسوس . بينما تقدم بقية جيشه نحو بارثيا لاخضاعها .

وقد أخذ الاسكندر يتعقب جماعة بيسوس ليلا ونهاراً ، من دون أن يترك لجنوده فرصة للراحة . ويقال أنه كان يريد القبض على دارا حيا ، كي يتنازل له عن العرش الفارسى . ولكنه فى كل مرة ، يبلغ فيها مكانا ، كان يقال له أن جماعة بيسوس كانت به ، وانها قد بارحته منذ قليل .

وفى اليوم الرابع ، اخترق الاسكندر الصحراء ، كى يقطع على جماعة بيسوس طريقهم . وظفر بجماعته فعلا . وكانوا يحملون معهم نساءهم وأطفالهم ، وكنوزاً وتحفا كثيرة . ولكن دارا لم يكن معهم .

وقد بحث عنه جنود الاسكندر فى المناطق المحيطة . حتى لاحظ أحد الفرسان الاغريق وهو يفتش عن الماء ، عربة وحيدة وبعيدة عن الطريق . وكان دارا فى داخلها . وبه أثار جروح . وقد أخذ يلفظ أنفاسه .

وقد طالب دارا الفارس الاغريقى برشفة ماء . فلما أعطاها له ، شربها ، وشكره . وطلب منه أن يشكر الاسكندر على حفاوته بأسرته . ثم لفظ آخر انفاسه .

وقد أرسل الاسكندر جثة دارا إلى والدته فى سوسا . وأمر بأن يدفن بالمدافن الملكية ، باحتفال يليق بالملوك .

وأما بيسوس ، فكان قد أخذ يلقب نفسه بملك الفرس . وعندما قبض عليه بعد ذلك ، سجنه الاسكندر فترة . ثم حاكمه حسب القوانين الفارسية . فقطعت أنفه وآذانه . ثم صلب ! .

ويلاحظ أن من الكتاب والشعراء من وصف لقاء الاسكندر بدارا . ومنهم من نظم كلمات ، وأحاديث ، تبادلاها قبل وفاة الاخير بين يدى

الاسكندر . وهذه كلها مبالغات وتصورات . فالاسكندر لم يلتق بدارا حيا . ولم يره إلا جثة هامدة بعد وفاته .

المؤامرة على حياة الاسكندر

وكان الاسكندر قد أتخذ من بابل عاصمة لامبراطوريته الجديدة . التى امتدت من شواطىء اليونان ومصر ، حتى بحر قزوين . وقد عين على أقطارها حكاما من الاغريق أو الفرس ، وإلى جوارهم قوادًا اغريق . وسك لها نقوداً ، حملت صورته كملك لآسيا ، متخذاً شكل الفرقين . وهو حيوان خرافى آسيوى ، نصفه نسر ونصفه أسد ! .

وقد جعل هيفاستيون مساعداً له . وايومينيس سكرتيراً . وهاربالوس مسئولاً عن الخزانة . وبطليموس مسئولا عن الأمن .

وفى صيف عام ٣٣٠ ق م ، وكان الاسكندر قد أتم غزو بارثيا وميديا . التحق بخدمة الاسكندر خصى فارسى ، يسمى باجواس . سرعان ما أشتد تأثيره على الاسكندر . فأصبح يلازمه فى كل مكان . وانتشرت الشائعات عن وجود علاقة بينهما ! .

ويرجع بعض المؤرخين ما ظهر على الاسكندر من « عادات شرقية » إلى تأثير باجواس القوى عليه . وقد كان من هذه العادات ، اتخاذه لمنادين فرس ، يستأذنون فى مثول الناس بين يديه . ومطالبته لمن

يظهر أمامه بالركوع بين يديه . وضجره بالنقاش والمعارضة . وتلقيبه نفسه بنحن ، بدلا من أنا . واتخاذه ألبسة فارسية . ثم لحريم ملكى . قيل انه قد تألف على عادة الملوك الفرس من ٣٦٥ امرأة . أى واحدة لكل يوم من أيام السنة ! .

ومع أن الاسكندر ، لم يلبس قط البنطلون الميدى المتسع ، أو يضع على رأسه أغطية الرأس الفارسية . فانه وضع بعض أشكال ، وألوان الملابس الفارسية الفضفاضة ، التى كانت تقترب من أشكال وألوان الملابس الأغريقية .

وكان الجنود الاغريق يطلقون على هذه الملابس اسم « البربرية » . وقد أثار عليه الاسكندر بارتدائها ، نقمتهم . « إذ كانوا يرون » كما يقول اريان « أنهم بحكم انتصارهم على الفرس قد أثبتوا ارتفاعهم وتميزهم عنهم وعن عاداتهم » ! .

ولكن من بين المؤرخين من يقول ، أن الاسكندر قد حاول باتخاذ تلك العادات الشرقية ، أن يهادن الفرس . وأن يكسب ولاء شعبهم ، وثقتهم ، ومحبتهم . يقول اريان :

> **« وقد ظن الاسكندر ، أنه إذا خلط بين عاداته وعادات الشعب الذى أصبح يعيش وسطه ، فانه سيظهر وده له . وقد لا يحتاج بعد ذلك إلى أستخدام العنف معه . وأن الفرس قد يهادونه ، ويخلصون له ، إذا ما ترك بلادهم لمواصلة حروبه فى أنحاء آسيا » .**

ومن أجل هذا أيضاً ، اختار الاسكندر ٣٠٠٠٠ صبى فارسى . أمر

معلميه وكتابه وفنانيه ، بأن يعلموهم العادات والآداب والفنون الاغريقية . وأن يدربوهم على السلوكيات الاغريقية .

* * * *

وكان بيسوس وساتيابرزانيس قد لجأ إلى الجبال الشمالية الشرقية . وهى أقصى الحدود الجغرافية التى كان يحيط بها الجغرافيون والعسكريون الاغريق فى ذلك الوقت . وكان الاسكندر يظن ، أن هذه الجبال ، تطل من ناحية على كوش الهند . ومن الناحية الأخرى على القوقاز . وانها هى المنبع الذى تتفجر منه مياه نهر الدون ! .

وكان بيسوس قد أعلن نفسه ملكا ، وأطلق على نفسه أسم الملك لترازيريكسيس . وقد انضم إليه فى مقاومة الاسكندر ساتيابرزانيس . عاضدهما البكتريون والسكيثيون قرابة عام . بينما أتم الاسكندر خلال لك العام ، تقدمه فى بلوخستان . ثم عاد منها خلال اراشوزيا . حيث ّقام ، فى ٣٢٩ ق م ، مدينة جديدة أطلق عليها اسم الاسكندرية (الآن ندهار) .

وقد أمر الاسكندر ، قبل تقدمه شمالا بشرق ، أن يحرق أمتعته وأمتعة جاله . ثم أخضع القبائل الثائرة حول جرجان . ويقال انه قد ذهبت يه هناك « ملكة الامازون » . على رأس ٣٠٠ من مقاتليها . وهن نساء بداء « لكل منهن ثدى واحد فى صدرها » ! .

وقد طلبت أن تحمل من الاسكندر . وقد لازمها الاسكندر ١٣ ما ! .

ثم ألتف الاسكندر حول باكتريا ، وهاجمها من الجنوب . وفى خلال

هذا الهجوم ، قتل صديقه امينتاس ، وهو يهاجم إحدى القلاع .
وكان جيش ارتازيريكسيس ، يهرب الكبارى ، ويحرق الحقول ، لمنع تقدم جنود الاسكندر . ولكن هؤلاء احتلوا ، رغم الشتاء والجوع ، باكترا (الآن بلخ) . وهرب الترازيريكسيس إلى سوجديانا . بينما لجأ ساتيابرزانيس إلى الهنود . الذين قبضوا عليه ، وسلموه للاسكندر ، خشية انتقامه منهم . وقد أمر الاسكندر بقتله بتهمة الثورة على ملكه دارا !.

وفى خريف عام ٣٢٨ ق م ، ظفر جنود بطليموس بارتازيريكسيس . فكتب بطليموس إلى الاسكندر يسأله عما يفعله به . وقد أمره الاسكندر ، بأن يقيده عاريا على جانب الطريق الذى يمر منه الجنود والناس . وكان هذا ، كما سمع الاسكندر ، عاراً كبيراً عند الفرس ! .
وعندما بلغه الاسكندر بعد ذلك ، سأله : لماذا خان ملكه دارا ؟ . ثم أمر بتعذيبه ، وقطع انفه وأذنيه . ثم أرسله الاسكندر إلى باكترا ، حيث صلب ! .

وفى طريق الاسكندر إلى سمرقند ، سرق بعض لصوص الجبال المحيطة بزادارا كارتا حصانه : بوكيفالاس . وقد تهدد الاسكندر سكان المنطقة كلها بالقتل ، إذا لم يعاد إليه حصانه سالما . وقد أعيد له بسرعة . وكان بوكيفالاس قد طعن فى السن .
وفى آريا ، أنشأ الاسكندر مدينة جديدة ، أطلق عليها اسم الاسكندرية . وهى حيرات الحالية .

* * * *

وكان الاسكندر قد سمع أن فيلوتاس ، ابن قائده القدير بارمينيون (الذى كان قد تركه مع نصف جيشه فى اكباتانا) ، يتآمر عليه . فأمر بالقبض عليه . وكلف جيشه بمحاكمته وعقابه .

والحقيقة ، كما يقول اريان ، هى أن ديمنوس كان قد تحدث إلى نيكوماخوس فى أمر مؤامرة سمع بوجودها لقتل الاسكندر . فنقل نيكوماخوس ما سمع لكيبالينوس . الذى تحدث فى أمرها لفيلوتاس . ولكن فيلوتاس لم يحرك ساكنا . وكان واجبا عليه ، كما ظن الاسكندر ، أن ينقل إليه من فوره كل ما سمع . خصوصا وأن كيبالينوس قد عاد يحدثه فيه فى اليوم التالى .

ولكن كيبالينوس لم يسكت . وذهب يكرر ما ذكره لفيلوتاس على اسماع الآخرين . فأمر الاسكندر بالقبض على فيلوتاس ونيكوماخوس وديمنوس ، وبقية أصحاب الأسماء التى تناولتها المؤامرة . ويصف اريان محاكمة الجيش لهم ، وادانتهم ، وقتلهم على الفور بالحراب . وأما بلوتارخ ، فيذكر أن فيلوتاس قد عذب بشدة . وأن الاسكندر قد حضر هذا التعذيب بنفسه . وأقره .

ومهما كان الأمر ، فان الاسكندر قد أمر عقب قتل فيلوتاس وزملائه ، بقتل والد الأول بارمينيون* . وكان شيخا فى الثانية والسبعين من عمره . وقد خدم الاسكندر ، ومن قبله فيليب ، بقدرة واخلاص .

* أيد نابليون ، وكان كبير الاعجاب بالاسكندر ، فى أواخر حياته فى جزيرة سانت هيلين ، ما فعله الاسكندر ببارمينيون . وكتب انه ما كان يستطيع غير هذا . أنظر كتابنا « نابليون بونابرت » فى هذه السلسلة .

وقد أرسل الاسكندر بوليداماس إلى بارمينيون ، فى اكباتانا . ونجح بوليداماس مع ثلاثة آخرين ، فى مباغتته وقتله بسيوفهم وهو يحادثهم . وقد أعقب قتل بارمينيون ، على ما يقول اريان ، قلاقل كثيرة فى الجيش . ولكن الاسكندر أخمدها بقسوة . وأمر بتقسيم جيش بارمينيون إلى فرقتين منفصلتين ، وضع على رأس احداهما هيفاستيون وعلى رأس الأخرى كراتيروس .

كذلك أمر الاسكندر فى أعقاب هذه المؤامرة بقتل اسكندر الايروبى ، على ما أشرنا .

الانحدار نحو « الشرقية »

وحين بلغ الاسكندر ، فى صيف عام ٣٢٨ ق م « نهاية العالم » . وأسس مدينة جديدة فى باكتريا تحمل أسمه ، هى خوقند الحالية . وكان قد جرح فى ساقه بسهم ، خلال مهاجمته لاحدى القلاع ، فى حملته على سبيتامينيس ، الذى كان يهاجم أطراف الأراضى التى يحتلها الاسكندر . ويثير له القلاقل والثورات بين سكانها . وقد أخمد الاسكندر الثورة التى أشعلها سبيتامينيس فى باكتريا بقسوة . فقتل الرجال والنساء والأطفال من دون استثناء . وباع باقيهم عبيداً .

وفى سمرقند ، وجد الاسكندر أن المياه كانت « غير مقبولة » . وقد مرض بالديزونتاريا . ولكن النبيذ كان جيداً . وقد أقبل عليه مع جنوده بشراهة ,وكان يشربه مركزاً ، كما يفعل الفرس ، وليس مخففا بالماء ، كما كان يفعل الاغريق . وأخذ الاسكندر بنظم المآدب الكبيرة والفخمة . ويدعو لحضورها المئات والآلاف .

والحق أن الاسكندر كان قد أخذ يتحول عن عادات المجاهد . ويتخذ الكثير من العادات « الشرقية » وقد قتل على ما ذكرنا بيسوس

(الملك بارتازيريكسيس) ، وساتيا بارزانيس ، وفقا للعادات الفارسية .
وأخذ الاسكندر يطالب كل من يمثل أمامه ، بأن يركع له . وأن ينحنى أمامه ، ويقبل أطراف أصابعه Proskynesis كما كان يفعل الفرس مع ملوكهم . وأما الاغريق ، فلم يكونوا ينحنون ، أو يركعون ، إلا لآلهتهم . وكانوا يضحكون على الفرس ، حين يجدوهم ينحنون أو يركعون للاسكندر .

وقد حاول الاسكندر أن يشجع خلصائه وأصدقائه من الأغريق ، على الانحناء له . فطلب من كل منهم ، أن يتقدم منه ، وأن ينحنى له . ثم يقبل أطراف أصابعه . ثم يتقدم من الاسكندر ، فيقبله هذا من وجنتيه . ثم يشرب رشفة نبيذ من قدحه ! .

وبدأ خلصاؤه وأصدقاؤه يفعلون ذلك . حتى جاء دور الفيلسوف والمؤرخ كالسثينز . فتقدم من الاسكندر ، مغفلا الانحناء له . وكان الاسكندر مستديراً بوجهه ، يتحدث مع هيفاستيون . ولكن بعض الحاضرين صاحوا : انه لم ينحن ! . لم ينحن ! . فتنبه الاسكندر ، أو اضطر إلى التنبه . وطالب كالسثينز بالانحناء له كغيره ! .

ولكن كالسثينز رفض هذا . وتراجع قائلا : سأعود اذن إلى مكانى ، من دون أن أخسر غير قبلة ! .

وكان كالسثينز فيلسوفا أرسطيا زاهداً . وكان يقول لمن حول الاسكندر : أن وجودكم حول الاسكندر يعطيكم المجد . وأما أنا ، فوجودى إلى جانب الاسكندر يعطيه هو المجد ! .

وعلى العكس من كالسثينز ، كان الفيلسوف الاغريقى المصاحب

دائما للاسكندر : انكسارخوس ، يشجع الاسكندر على اتخاذ أساليب الفرس « الشرقية » ! . وينفجر أمامه بالضحك ، إذا إما وجده مهموما ، أو غاضبا ، من أحد الأقوال ، أو التصرفات . ويقول له :

« هذا اذن هو الاسكندر . ملك العالم . جالسا يبكى كالعبيد . مرتجفا من القانون . ومن أقوال الناس . بينما هو نفسه القانون . وهو سيد الناس . ألا تعلم معنى القول بأن الحق يجلس إلى يمين الآله . أنه يعنى أن كل ما يقوله الآله حق . وهذا أيضا ما يجرى على الأرض . فكل ما يقوله الملك حقا . على الملك اولا . وعلى الناس بعد ذلك » ! .

* * * *

وفى الاحتفال الكبير والفخم ، الذى أقامه الاسكندر بمناسبة الديسكورى Dioscuri وهو عيد الآلهين الفارسيين التوأمين : كاستور وبوليديوك . تساءل انكسارخوس : ماذا فعل هذان الآلهان ، أكثر مما فعل الاسكندر ؟ . ولماذا يؤجل الناس تأليهم للاحياء حتى يموتون ؟ ! .

ثم قام بعض الشعراء ، وأخذوا يتغنون بالامجاد التى حققها الاسكندر ويقارنون بين الانتصارات ، التى تقع سهلة بين يديه ، وبين الهزائم التى يمنى بها أحيانا بعض أصحابه .

وقد طرب الاسكندر لهذا الاشعار . وأخذ يضحك من المقارنات .

ولكن هذا لم يعجب صديقه كليتوس . وكان يلقب بشقيق الاسكندر بالتبنى . وتعمل شقيقته ممرضة خاصة للاسكندر . فوقف

ينشد كلمات يوربيدس :

« وللاسف تسير التقاليد فى اليونان

« على أن تحفر أسماء الملوك فوق الجوائز

« بينما لا يظفر الرجال الذين يحققونها بغير الدماء » .

وقد ضايقت كلمات كليتوس الاسكندر . وطلب منه هادئا أن يبارح القاعة .

ولكن كليتوس ، الذى كان قد أكثر كبقية الحاضرين من الشراب ، صاح فيه : ان المقدونيين ، حتى وان ابتلوا بالمصائب ، فلا يزالون يفضلون الفرس ! .

وقد رد عليه الاسكندر : انك تبحث عن المعاذير لنفسك باكليتوس حين تسمى سلوكك الفاشل سوء حظ ! .

وصاح كليتوس مرة أخرى : ومع ذلك ، فان هذا السلوك الفاشل ، ويدى اليمنى هذه ، هما اللذان أنقذتاك ، ياابن الآلهة ، من تلقى طعنة سيف سبيثريداتيس فى ظهرك . انك بالدم المقدونى وحده ، وبهذه الجروح فى أجسادنا ، قد بلغت من العظمة حداً جعلك تترك نسبك لفيليب ، وتنسب نفسك لآمون ! .

وهنا بدا الغضب على الاسكندر . وصاح فى كليتوس : إلى متى تظن أنك تستطيع أن تتحدث إلىّ بهذه الطريقة ، من غير أن تأسف على ما تخرجه من الفاظ ؟ .

وقد رد عليه كليتوس :لقد أسفنا بالفعل ولقد أنقذت الآلهة هؤلاء الذين قتلوا فى المحاربة تحت لواءك قبل أن يروا الميديين وهم

يحرسونك . والفرس وهو يعطوننا الاذن بالمثول بين يديك .

وقد سكت الاسكندر برهة . بينما أخذ من حوله يهمهمون ويتصايحون . ويحاول بعضهم إسكات كليتوس ، وسحبه إلى خارج القاعة . ولكن كليتوس صاح فى الاسكندر وهو يؤخذ بعيداً عنه : تكلم ! . أيها الملك ! . صارحنا جميعاً.. وإلا فلا تدعو رجالًا أحراراً بعد ذلك إلى مآدبك ، وأقصر دعواتك على العبيد من الفرس ! .

وقد أثارت كلمات كليتوس الأخيرة ثائرة الاسكندر . فأمسك بتفاحة ، وألقاها فى اتجاهه . فأصابته فى رأسه . وأخذت يد الاسكندر تبحث عن سيفه المثبت فى وسطه . ولكن الحاضرين كانوا قد جردوه منه .

فصاح الاسكندر طالباً سيفاً . وطلب إلى حارسه أن ينفخ نفير الخطر . ولكن الحاضرين جميعا تجاهلوا أوامره . فأخذ الاسكندر يناديهم : هل أصبحت أسيركم ؟ ! . بينما أخذ آخرون يدفعون كليتوس إلى خارج القاعة . ولكن كليتوس صاح مرة أخرى ، وهو عند بابها : ها أنذا يا اسكندر ! .

وحتى عندما خرج كليتوس من القاعة ، عاد إليها ، وصاح فى الاسكندر بكلمات أخرى ليوريبيدس :

« إن فى اليونان ، للأسف

« الحكومة شريرة » ! .

وهنا انتزع الاسكندر من أحد حراسه حربة ، ألقاها إلى صدر كليتوس . ومع أنه كان ثملا ، والزحام من حوله شديداً . فإن تصويبه

كان دقيقاً . وقد أصابت الحربة ظهر كليتوس . فوقع على الأرض من فوره ميتاً .

وفجأة سكت الجميع . وانزاحت نشوة الخمر عن رؤوسهم . وأسرع الاسكندر نحو كليتوس ، وأنتزع الحربة منه . وحاول أن يقتل بها نفسه . ولكن الحاضرين منعوه . وأخذوه بعيداً عن جثته . وكان الاسكندر يصيح ، وهو يؤخذ إلى حجرته :

« ايه ياكليتوس . كليتوس . لقد أوفيت لك خدماتك .
ورددت لأبناء لانيكه ما قدموه لى فى معاركى » .

وقد قضى الاسكندر فى حجرته بقية ليلته ، ثم الأيام الثلاثة التالية . وكان يصيح : لقد قتلت أعز اصدقائى ! .

وأما الاغريق الحاضرين ، فقد عزوا ما حدث إلى انتقام الآله الاغريقى دايونيساس . إذ كان اليوم يوم مولده . ومع ذلك ، أمر الاسكندر بالاحتفال بالعيد الفارسى الديسكورى ، من دون عيده ! .

مؤامرة خدم الاسكندر عليه

ثم خرج الاسكندر على رأس قواته ، مع هيفاستيون وكراتيروس وبطليموس وبيرديكاس ، لاخضاع القلاقل فى باكتريا . وللقبض على سبيتامينز . وقد انقسمت قواته إلى ٥ فرق . بحث كل منها عن سبيتامينز فى مكان . ثم تجمعوا جميعاً ، من دون أن يعثروا عليه ، فى سمرقند . وقد أمر الاسكندر بجمع محاصيل الأراضى مبكراً من الحقول . وحفظها كلها داخل المدن الجديدة التى أقامها . وزاد من تحصينات هذه المدن ، كى يحرم منها الثوار .

وعندما سقطت ثلوج الشتاء ، لم يجد رجال سبيتامينز لأنفسهم غذاء . وسمعوا أن الاسكندر يتأهب للخروج لقتالهم . فقتلوا سبيتامينز وحملوا رأسه إلى الاسكندر ! .

وفى ربيع عام ٣٢٧ ق م ، خرج الاسكندر لاخضاع شرق سوجديانا . وكان فى جبالها الشرقية قلعة حضينة ، مقامة فوق صخرة عالية ، هى « صخرة سوجديان » . وكان يحكم هذه المنطقة أمير باكترى ، يسمى اوكزيراتيس . وقد وضع ابنته الرائعة الجمال ، روكسان Roxane فى هذه القلعة .

وقد أرسل اوكزيراتيس إلى الاسكندر ، عندما سمع أنه يريد اقتحام قلعته ، يقول : أبحث لجنودك عن أجنحة يطيرون بها ، لأن شيئا آخر لن يساعدهم على بلوغها ! .

وقد بحث الاسكندر بين جنوده عن متطوعين ، يجيدون تسلق الجبال وعرض على كل من ينجح منهم فى اقتحام القلعة ٣٠٠ قطعة ذهبية . ولأولهم تالنتا من الذهب . فتقدم له ٣٠٠ جندى . أختار الاسكندر من بينهم رؤساء ، حدد لهم مكافآت أكبر . ثم خرجوا جميعاً فى بداية الليل ، لتسلق الجبل المقام فوقه القلعة . وقد استخدموا فى ذلك أوتاد الخيام والحبال . حتى إذا بلغوا القلعة فى الصباح ، فاجأوا من فيها . ولم يكونوا قد تنبهوا لما حدث . وكانوا يظنون أنهم بمأمن من هجوم الاسكندر وقواته . وقد سارعوا للتسليم لهم . إذ ظنوا جيش الاسكندر كله قد نجح فى تسلق قلعتهم .

ويقول اريان ان الاسكندر قد فقد خلال هجومه على قلعة سوجديان ٣٠ جنديا فقط « دفنوا جميعا تحت الثلوج » . وأنه ، عندما دخل القلعة ، ورأى روكسان ، وقع من توه فى غرامها . وكان يستطيع اغتصابها ، أو اتخاذها عبدة أو خليلة له . ولكنه قرر الزواج منها . ووجد من حسن السياسة أن يدعو إلى حفل زواجها أبيها الامير اوكزيراتيس .

وقد أقام الاسكندر لزواجه بروكسان ، حفلا فارسياً كبيراً ، أكل فيه الاثنان ، على ما تقضى التقاليد الفارسية ، كعكة من القمح . قطعته العروس لعريسها ، وقدمتها له ، على ما نفعل الآن فى افراحنا .

ثم ثبت الاسكندر اوكزيراتيس أميراً على مملكته . وساعده التحالف معه على مد نفوذه فى أنحاء المنطقة .

ولكن عند خروج الاسكندر بعد ذلك ، لصيد الخنازير مع الصبيان المكلفين بخدمته . صوب أحدهم ، المدعو هيرمولاوس سهمه إلى أحد الخنازير البرية ، قبل أن يفعل الاسكندر . وقتله . وقد أحنق هذا الاسكندر . الذى أمر بجلده أمام الجميع . وبحرمانه من امتطاء جواده .

ويقال أن عقاب الاسكندر القاسى لهيرمولاوس ، قد ضايق بقية خدم الاسكندر ، وأن فيلسوفهم ومربيهم كالسثينز ، الذى كان قد أخذ يتصدى « لشرقية » الاسكندر المتزايدة ، كان يشجعهم على التمرد والتآمر عليه . فقرر بعضهم قتله ، خلال نومه ، عندما تحين لهم فرصة خدمته .

ولكن عرافة سورية كانت ترافق الاسكندر ، ويطمئن إلى تنبؤاتها ، أخبرته بوجوب البقاء مستيقظا تلك الليلة ، التى خدمه فيها هيرمولاوس . فلما جاء الصباح ، من دون أن يتم هيرمولاوس مؤامرته ، ترددت أنباء المؤامرة فى المعسكر ، حتى بلغت بطليموس . فذهب ينقل تفاصيلها إلى الاسكندر .

وقد أمر الاسكندر بالقبض على هيرمولاوس ورفاقه . ومعهم الفيلسوف كالسثينز .

ويقول بلوتارخ ، أن هيرمولاوس « كان قد سأل معلمه كالسثينز ، عن الوسيلة التى يمكن أن يصبح بها مشهوراً . فأجابه كالسثينز . بقتل أحد المشاهير » ! .

وقد حاكم جيش الاسكندر هيرمولاوس حسب التقاليد الاغريقية وحكم بقتله بالاحجار . ولكن هيرمولاوس ، فى اعترافه بجرمه ، أخذ

يصيح فى محاكميه ومنفذى الحكم فيه : لقد أردت أن أخلصكم من الطاغية ، الشرق ، المخمور ، والذى قتل فيلوتاس وبارمينيون وكليتوس ! . حتى أسكتت أحجار جنود الجيش هيرمولاوس .

وأما كالسثينز ، فيقول اريان انه قد شنق . بينما يؤكد اريستو بوليس أن الجيش قد حمله معه أسيراً طوال ٧ شهور . حتى مرض ، وأمتلأ بالاقذار ، والقمل ، والقروح . ثم مات .

وتقول رواية أخرى عنه ، أنه قد عذب ، حتى تقطعت أوصاله . ثم وضع حول رقبته حجراً ، أو وضع فى قفص ، مع كلب متوحش أو أسد . ولم ينقذه من عذابه ، إلا تقديم ليزيماخوس له السم ، الذى قتل به نفسه ! .

وكان كالسثينز ، كما أشرنا ، ابن أخ لارسطو . وقد أساءت معاملة الاسكندر له للعلاقة بين هذا الفيلسوف الكبير والاسكندر . فقامت فى اليونان مدرسة « أرسطية » مناهضة للاسكندر . تندد باستبداده . و « انحداره إلى الشرقية » . وكان من ابنائها ثيوفراسطس الذى كتب عن كالسثينز كتابا ، أشار فيه إلى أن مواهب الاسكندر وقوته كانت كثيرة و « لكنه لم يحسن استخدامها » ! .

الحملة على البنجاب

وقد عاد الاسكندر فى ربيع عام ٣٢٦ ق م إلى باكترا . وأخذ يستعد لغزو الهند .

وفى نهاية الصيف ، قسم جيشه إلى قسمين . جعل على الأول هيفاستيون وبرديكاس . وطلب اليهما أن يهاجما شواطىء نهر الهيداسبوس . وخرج هو بالقسم الثانى ، مع بطليموس وليناتوس ، لاخضاع رجال القبائل التى تسكن خلفه . ولم يكن الأمر سهلا بالنسبة للاسكندر . وقد لاقى ، مع قواده وجنوده ، صعابا كثيرة . وجرح الاسكندر نفسه عدة مرات ، خلال المعارك التى خاضها مع رجال القبائل الاشداء ، الذين لم يكن الفرس قد تمكنوا من اخضاعهم .

وكان الاغريق على دراية قليلة بحوض نهر البنجاب . ولم يكونوا يعرفون شيئا عما خلفه من أراضى . وكان الاسكندر يظن ، بناء على المعلومات المتوافرة لدى العلماء والقواد الاغريق يومئذ ، أنه إذا ما عبر نهر الايندوس ، فانه سيقع على « المحيط الذى يلتف بالأرض » ! .

وعندما هبط الاسكندر بجنوده فى الخريف إلى أراضى البنجاب ،

ورأى التماسيح الكثيرة فيها ، ظن أنه قد بلغ « منابع نهر النيل » ! .

ويقول اريان ، ان الاغريق قد رأوا فى سهل البنجاب ، انهاراً عديدة ، ومدنا كبيرة ، وحشوداً كثيرة من الناس السمر الوجوه . « والهنود » كما يقول اريان « هم أكثر الناس سواداً بعد الاثيوبيين » ! .

ويقول اريان أيضاً ، أن كهنة الهنود ، الذين أطلق عليهم الاغريق اسم « الفلاسفة العراة » كانوا أشد الناس عداوة لهم ..

« وعندما ذهب الاسكندر لزيارتهم فى موكب كبير ، قابلوه بدق أرجلهم على الأرض . فسألهم الاسكندر عما يريدون قوله بذلك . فأجابوه : أيها الملك الاسكندر . ان كل شخص ، سوف يشغل من الأرض مثل القطعة التى يدق فوقها بقدمه . وأنت رجل كالآخرين ، حتى إذا كنت قلقا وطموحا . ومع أنك تملك الآن الكثير ، وقد بعدت عن بلادك بمسافة طويلة ، مجهداً نفسك والآخرين ، فانك بعد قليل ، وعندما تموت ، سوف تشغل القطعة الصغيرة التى تدق فوقها » ! .

ويقول اريان ، ان الاسكندر قد وافقهم على رأيهم . وأبدى اعجابه بحكمتهم . « ومع ذلك استمر يفعل ما كان يفعله ، وهو عكس ما قالوه له » ! .

ويلاحظ أن أحد هؤلاء الكهنة قد رافق الاسكندر بعد ذلك . وعندما عاد معه إلى بلاد الفرس ، مرض . « ولم يكن » كما

يقول اريان « قد مرض فى حياته » .

وقد أمر الاسكندر بحمله على محفة ، وتقديم العلاج له . ولكن هذا الكاهن ، وأسمه كالانوس ، رفض كل علاج . وطلب أن يموت . وأخذ فى ترديد الصلوات الهندية . وقد أمر الاسكندر بعض وحدات جيشه ، بأن تكرمه بالمرور أمامه ، وهو محمول على محفته . وطلب إلى بطليموس أن يوفر له كل طلباته .

عندما أحس كالانوس بدنو أجله ، طلب أن تعد له منصة مرتفعة . وأن يوضع أمامها كوم هائل من أخشاب الأشجار . ثم طلب إشعال النار فى الأخشاب . وصعد فوق المنصة . وألقى بنفسه وسط النيران المشتعلة .

وقد ظن الاسكندر حين رأى هذا المنظر ، أنه كان بشعا . ولكن بعض الحاضرين أعجبوا بشجاعة كالانوس . وبأنه لم ترمش له عين ، أو تبدى اعضاؤه حركة ، خلال اشتعال النار فيه . وفى لحظة القاء الكاهن لنفسه فى النار ، صرخ جنود الاسكندر ، وعلا نفيرهم ، وكأنهم ذاهبون إلى الحرب : إلا لا لا لا لا ويه . تكريما منهم لكالانوس .

* * * *

وكان الاسكندر قد أخضع جميع الامراء الهنود بين نهرى الهيداسبوس والايندوس . ولكن إلى الجنوب من نهر الايندوس ، كان الراجابورافا قد أستعد لمقاومته . وقد جمع حوله أكثر من ٢٠٠ فيل بالاضافة إلى ٤٠٠٠ فارس و ٣٠٠٠٠ جندى .

وكان هذا الأمير الهندى ، الذى لقبه الاغريق بوراس ، عظيم

الكبرياء ، ضخم الجسم . يكاد طوله يقارب ١٩٠ سم . وقد ظن أنه سيستطيع بقواته أن يقاوم قوات الاسكندر . ولم تكن قوات الاسكندر الاغريقية تزيد فى عددها عن عدد جنود بوراس . ولكن من المؤرخين المحدثين من يقول أن جيش الاسكندر كان قد تزايد فى آسيا بانضمام القوات الأخرى إليه ، حتى بلغ حوالى ١٠٠٠٠٠ جندى .

وفى ربيع عام ٣٢٥ ق م ، كانت ثلوج الجبال المحيطة بنهر الايندوس قد ذابت . وملأت ضفتيه بالمياه الباردة . مما جعل مهمة اجتيازه أمراً صعباً . ولكن الاسكندر ، بعد معاينته للنهر ، اختار نقطة تبعد حوالى ٣٠ كيلو متر ، يطلق عليها اسم « مانجيل ديف » شمالى النقطة التى كان يقف فيها بوراس وجنوده (هارابنور) . وقد أخفى الاسكندر عندها الجزء الأكبر من القوارب التى أعدها لعبور جيشه .

ثم أخذ الاسكندر يحرك جيشه جيئة وذهابا ، أمام جيش بوراس . مدخلا فى روعه ، مرة بعد أخرى ، اعتزامه عبور النهر . وفى كل ليلة ، كان جنود الاسكندر ، يتظاهرون ببداية عبوره فى مكان . ثم يعودون من دون أن يعبروه . حتى يأس بوراس من محاولات الاسكندر . ولم يعد يأبه لها . وأخذ جنوده فى اهمال حراستهم للنهر .

وفى إحدى الليالى ، التى اشتدت فيها الرياح والأمطار ، تقدم الاسكندر بالجزء الأكبر من قواته إلى مانجيل ديف . وترك بعض قواته تحت قيادة كراتيروس فى هارابنور ، ومعها أوامره الصريحة بأن يعبر كراتيروس النهر ، إذا وجد قوات بوراس قد تحركت شمالا لملاقاة جنود الاسكندر عند مانجيل ديف .

وعندما تنبه بوراس متأخراً ، إلى أن قوات الاسكندر قد عبرت النهر عند مانجيل ديف ، أسرع بقواته إلى هناك . بينما كان الاسكندر قد أخذ يوطد دعائمه فى هذه النقطة . وتغلب فيها على الفرسان الهنود ، الذين أرسلهم بوراس اولا ، بقيادة ابنه . وقد قتل فى هذه المعركة الأولى ابن بوراس ، والجزء الأكبر من هؤلاء الفرسان . بينما لحق الباقون بجيش بوراس ، الذى أخذ يحتشد أمام جيش الاسكندر .

ويلاحظ أن نابليون بونابرت كان كبير الاعجاب بهذه المعركة . وقد ظنها أعظم معارك الاسكندر ، ومن أعظم معارك التاريخ . وانها قد أوضحت عبقرية الاسكندر التكتيكية ، وسيطرته التامة على تحركات جنوده .

وكان الاسكندر قد جعل قائده كويناس على رأس فرسان جناحه الأيسر . وأوصاه بأن يلتف حول جناح بوراس الايمن ، وأن يحاول الوصول إلى مؤخرته . بينما تولى الاسكندر ، على ما كان يفعل دائما ، قيادة وسط يمينه .

وفى بداية المعركة ، أندفع الاسكندر بفرسانه إلى أقصى اليمين . مما جعل جيش بوراس يتحرك بكامله نحو تلك النقطة . وسهل لكويناس خطته فى الالتفاف حول يمين ذلك الجيش . وبلوغ مؤخرته .

وقد أدى تحرك جيش بوراس إلى اليسار ، فى الوقت الذى تزايد فيه الضغط على يمينه ، إلى حدوث فجوة بين وسطه ويساره . وقد انحرف الاسكندر فجأة إلى تلك الفجوة . فى الوقت الذى كان كويناس ، قد أخذ يهاجم جيش بوراس من مؤخرته .

وكان بقية جيش الاسكندر قد تحرك لمهاجمة وسط جيش بوراس . موجها سهامه وحرابه وسيوفه إليه . وحاول بوراس أن يعتمد على افياله ، بتوجيهها إلى المعمعة التى حدثت بوسط جيشه . ولكن جنود الاسكندر استعانوا بالسيوف والمناجل على تقطيع زلوماتها وسيقانها ! . وأخذت الأفيال تؤذى ، فى اضطراب الموقف ، جنود بوراس ، بأكثر مما تؤذى جنود الاسكندر ! .

وكان بوراس يحارب من فوق أحد الأفيال . وقد صمد للمعركة بأكثر مما فعل جنوده ، الذين أخذوا يفرون إلى كل مكان . حتى جرح بوراس فى كتفه بأحد السهام . فترك المعركة ، وفر منها هو الآخر .

ومع ذلك ، فقد أعجب الاسكندر بشجاعة بوراس . وأرسل خلفه يستدعيه . وأغراه بالعودة إليه . ولما عاد ، ولاه على مملكته ، التى زاد مساحتها بعد ذلك . ثم أنشأ الاسكندر بعد احتلاله للبنجاب ، مدينتين جديدتين فيها . حملت احداهما اسم النصر « نيكايا » . وحملت الثانية اسم حصانه « بوكيفالاس » . وكان قد جرح فى معركة مانجيل ديف ، وتوفى بعدها . وسك الاسكندر لهذه البلاد نقوداً خاصة ، نقشت عليها صورة بوكيفالاس وهو يطارد أحد أفيال بوراس ! .

اصابة الاسكندر الخطيرة فى سانجالا

وعندما بلغ جيش الاسكندر امريتسار الحالية ، أراد الاسكندر أن يتابع تقدمه شرقا إلى مملكة ماجاوالا ، فى دلتا نهر الجانج . وكان الاسكندر قد سمع أن لامراء هذه الدلتا جيشاً كبيراً يزيد عدده عن ۲۰۰۰۰۰ ، وفرسانه عن ۸۰۰۰۰ ، وأفياله عن ٦٠٠٠ فيل .

ولكن جنود الاسكندر تهامسوا ، وتذمروا . وحاول الاسكندر أن يتغلب على معارضتهم ، بالقول بأن نهر الجانج هو « آخر أنهار الأرض » . وبأنهم يجب ألا يتركوا أعمالهم الكبيرة « نصف تامة » . حيث يسهل بعد ذلك الثورة ، والانقضاض عليها . وأنهم يجب أن يتموها تماما . « إذ لا غاية للرجل الشجاع من عمله ، إلا بتحقيق هذا العمل على أكمل الوجوه » .

ولكن جنود الاسكندر لم يجيبوه . وان استمروا يتهامسون ، ويتكلمون ، من وراء ظهره . ثم تقدم كويناس ، وقال للاسكندر : أن ما حققته من انتصارات تحت رايتك ، والثقة الكبيرة التى أوليتها لى ، تجعلنى أحب أن أصارحك بما يقوله رجالك . فكلهم يحبونك ، ويخلصون لك . ولكن أكثرهم قد مضى عليه أكثر من ۸ سنوات بعيداً

عن أهله ووطنه . وأكثر الجنود ، الذين خرجوا معك فى بداية حملتك ، منذ ثمانى سنوات ، قد قتلوا . ولولا الامدادات المستمرة التى تجيئنا من اليونان ، والجنود الذين نستخدمهم فى طريقنا ، لما بقى لنا جيش .

ثم أخذ كويناس يذكر الاسكندر ، بما لاقاه جنوده فى قتال أعدائهم ، ومن ويلات الطبيعة القاسية فى مناطق العالم المختلفة التى مروا بها .

ثم قال له : ان من حق هؤلاء الجنود ، بعد كل ما لاقوه ، وحققوه من أمجاد ، أن يعودوا إلى أوطانهم . وأن يستمتعوا بها فى حياتهم . وان تمك أن تعود أنت أيضا إلى وطنك . وأن تلتقى بأمك ، وأهلك ، ابك . وأن ترعى شئون مملكتك التى تركتها طويلا . وأن تهنأ . فيها وقتا . ثم تستطيع بعد ذلك ، أن تخرج لحرب جديدة . وبجنود أشداء ، تدربهم بنفسك . سواء لمتابعة فتوحاتك فى آسيا ، أو مد النفوذ الاغريقى فى حوض البحر الأبيض المتوسط أو شرق أو غربى أوروبا .

وعندما انتهى كويناس من خطابه ، ترك الاسكندر جنوده غاضبا إلى خيمته ، فلازمها ثلاث أيام بلياليها .

وفى اليوم الرابع ، جمع الاسكندر جنوده مرة ثانية . وقال لهم ، انه قد نزل على رغبتهم فى العودة إلى أوطانهم . ولكن بشرطين . الأول هو أن يتموا اخضاع البنجاب . والثانى هو أن يعودوا إلى بلادهم عن غير الطريق الذى جاءوا منه .

وكان الاسكندر قد قسم جيشه إلى ١٢ فرقة . أمر كلا منها باقامة ضريح كبير لآلهة الاغريق الاثنى عشر . وعلى رأسهم تزيوس/ آمون .

وبدأ طريق عودته إلى بلاده ، باخضاع قبائل المالاوى والاوكزيدمكاى .

وقد وجد الاسكندر ، عند مهاجمته لقلعة القبائل الأولى : سانجالا ، أن جنوده مترددين فى مهاجمتها . فتقدمهم بنفسه ، حاملا سلما طويلا ، تسلق به جدرانها . ولم يكن يتبعه غير حارسه ليوناتوس ، وحامل درعه بوكيستاس ، وجندى واحد هو ايرياس .

وكان الاسكندر يحمى رأسه خلال تسلقه السلم بدرعه القديم ، الذى كان قد أخذه من معبد البون بتروى . فلما بلغ قمة السلم ، ومن خلفه ليوناتوس وبوكيستاس وايرياس ، تخلصوا جميعا من مهاجميهم . وقفز أربعتهم إلى داخل القلعة .

وقد أثار تقدم الاسكندر وأصحابه لمهاجمة القلعة ، حماس جنوده . فتسابقوا جميعا على السلم يتسلقونه . ولكن تسابقهم ، وثقلهم الكبير على السلم ، أوقعه على الأرض . فأنكسر . وبقى الاسكندر وزملاؤه الثلاثة فى داخل القلعة ، معزولين عن بقية الجنود الاغريق . وكشف انعكاس الضوء على الدرع ، والريشتان اللتان كان يحملهما الاسكندر دائما على خوذته ، عن وجود الاسكندر وأصحابه فى قلعة أعدائه .

وقد تكاثر الجنود الهنود على الاسكندر وأصحابه . ومع أنه قد قتل الجندى الأول منهم بسيفه . وأستطاع القضاء على جنديين آخرين ، أحدهما بالاحجار . فان الهجوم عليه لم يتوقف .

يقول بلوتارخ :

« وكان درع الاسكندر يضوى بشدة ، وينم عن مكانه ، وحقيقة صاحبه . حتى ان الجنود البرابرة ، ظنوا ، من شدة الضوء الذى يحيط به ، ان الاسكندر قد غلف

بالضوء . وأن ذلك الضوء يحميه من أعدائه . فامتنعوا عن مهاجمته بسيوفهم » ! .

ثم أخذ الجنود الهنود يوجهون للاسكندر وأصحابه ، سيلا من سهامهم . وقد أصاب أخد هذه السهام ابرياس فى وجهه ، وقتله على الفور . وأصاب سهم آخر الاسكندر فى صدره . وفجر الدم من رئته . وأخذ الدم ينبثق غزيراً ، ومختلطاً بهواء رئته . حتى أغمى على الاسكندر . ووقع على الأرض . بينما حاول ليوناتوس وبوكيستاس أن يدفعا سهام المهاجمين عن الاسكندر بدرعه .

وفى هذه الاثناء ، كان بقية الجنود الاغريق قد نجحوا فى تسلق القلعة وقد اسرعوا إلى مكان الاسكندر . وسيطروا على أعدائهم . وحملوا الاسكندر فوق درعه إلى سفينة راسية فى نهر جيهلم . وانتزع بيرديكاس بصعوبة الحربة الكبيرة التى اخترقت صدره . وأخذ طبيبه كريتوديموس يعالجه . بينما قتل الجنود الاغريق كل رجل وامرأة وطفل وجدوه فى قلعة سانجالا .

وقد بقى الاسكندر أياما فى السفينة ، وهو يصارع الموت . حتى أن بعض جنوده ظنوه قد مات وطالبوا برؤيته .

وعندما تحسنت حالته قليلا ، ترك الاسكندر السفينة إلى خيمته . وكان قواده قد أعدوا له محفة ينقلونه عليها . ولكنه طلب أن يأتوه بجواده ، وأن يرفعوه فوقه . وسار الاسكندر بين جنوده ، وهو يحييهم ، حتى بلغ خيمته . وأستطاع أن يدخلها مجهداً .

وقد قضى الاسكندر داخل خيمته أياما أخرى ، استجم فيها من

جرحه . قبل أن يتابع مع جنوده طريق عودته إلى فارس .

ويقول بعض المؤرخين ، ان الاسكندر قد بقى متأثراً بقية حياته بهذا الجرح . وانه لم يشف منه تماما . وقد أثر على حالته الصحية بقية عمره القصير .

عرس الشرق والغرب

وعندما بلغ الاسكندر هيداسبوس ، أمر قائده كراتيروس أن يبنى اسطولا ضخما من ۱۰۰۰ سفينة . وأن يختار له بحارة من بين الجنود الفينيقيين والقبرصيين والمصريين . وقد جعل لهذا الاسطول بعد ذلك قائداً ، هو نياركوس . وحاول نياركوس ، ببعض سفنه ، أن يستكشف السواحل التى تطل على بحر العرب . وكتب ملاحظات هامة وكثيرة عن الأماكن التى زارها . والنقاط التى يمكن للسفن الاحتماء بها . والاحياء النباتية والحيوانية ، وأجواء ، ومعادن ، تلك الانحاء .

وفى باتالا ، على رأس دلتا نهر الايندوس ، أمر الاسكندر ببناء قاعدة بحرية كبيرة ، أراد بها أن يربط بين الهند ونهر الفرات . وطلب إلى السفن الاغريقية ، أن تستخدم هذا الطريق ، بين اليونان وبقية أنحاء امبراطوريته .

ولما كانت السفن فى ذلك العهد صغيرة . ولا تستطيع حمل مؤن كثيرة ، بالاضافة إلى الاحمال والمعدات التى يحملها الجيش . والنساء والأطفال الذين يرافقونه . فقد قرر الاسكندر أن يسير قبالة الاسطول ،

على سواحل بلوخستان ، وأن يوفر له المؤن فى طريقه . وأن يرافقه فى مسيرته النساء والأطفال داخل العربات ، وفوق الخيول والبغال . بينما يتبع كراتيروس وجنوده ، ومعهم الافيال التى تحمل بقية متاع الجيش ، طريقا شماليا ومباشراً إلى فارس ، عبر جيدروزيا ودرانجينا .

وكان على كل من جيشى الاسكندر وكراتيروس أن يحررا ملاحظات جغرافية وعلمية ، مماثلة لملاحظات نياركوس .

وقد حاول الاسكندر أن يسير مع جيشه قرب ساحل البحر . ولكنه توغل فى داخل الصحراء ، عندما صادف فى طريقه جبالا عالية . ثم أضطره البحث عن الماء ، وشح الامدادات فى طريقه ، إلى زيادة توغله فى صحراء مكران .

ومن سوء حظ الاسكندر ، انه اعتمد فى سيره على الخيل والبغال ، ولم يعتمد على الجمال . حتى اضطر إلى ترك عرباته وسط الصحراء . وأدى سيره بالليل ، من دون أدلاء أكفاء ، إلى فقدانه طريقه . حتى تغذى مع مرافقيه ، على أكثر الخيل والبغال التى كانت تحمل متاعهم ، أو يمتطونها فى سيرتهم .

وقد أعقب المصاعب الشديدة التى لاقاها جيش الاسكندر ، من حرارة الصحراء وجدبها . هطول أمطار فجائية غزيرة . أحدثت سيولا هائلة . جرفت فى طريقها أكثر متاع الجيش . وشردت ، وقتلت ، أعداداً كبيرة من النساء والأطفال المرافقين له .

وبعد شهرين من بداية المسيرة ، ألتقى الاسكندر بأسطوله قبال ساحل مكران مرة أخرى . فزوده بما يحمله من أغذية ومياه . ثم افترق

عنه مرة أخرى ، فأبحر الاسطول إلى الخليج العربى . وعاود الاسكندر تقدمه إلى كرمان ، حيث التقى بكراتيرس . وتقدموا منها بعد ذلك حتى بلغوا سوسا (الآن الاهواز) قرب رأس الخليج العربى .

* * * *

وفى سوسا ، كانت تنتظر الاسكندر أخبار كثيرة . فإلى جانب القلاقل والثورات فى أنحاء الأقاليم التى فتحها ، وتطور أحوال الحكم فى كل منها . وجد الاسكندر أن أكثر الولاة والقواد الذين عينهم ، قد توقعوا عدم عودته من الهند ! . وقد أخذوا يهيئون أمورهم للعهد الذى يعقبه ! . بتوفير الأموال التى يجمعونها لأنفسهم . واستئجار الجنود لحمايتهم . وتوطيد مراكزهم فى اقاليمهم . ومد نفوذهم إلى ما حولهم من ناطق أخرى .

وحتى هاربالوس ، صديق الاسكندر منذ صباه ، والذى كان الاسكندر قد عينه لادارة الشئون المالية فى امبراطوريته . وجده الاسكندر قد وضع الثروة التى جمعها فى ٣٠ سفينة ، أبحرت به ، وبآلاف الجنود الذين أستخدمهم ، إلى أثينا . وكان له بها معرفة . وفيها أصدقاء . وله عليها أفضال .

ولكن أثينا عندما علمت بسلامة الاسكندر ، وعودته إلى سوسا ، رفضت أن تأوى هاربالوس وأصحابه . فأضطر إلى الذهاب إلى جزيرة كريت . حيث قتل . ونهبت ثروته .

كذلك سمع الاسكندر أخباراً مقلقة من مقدونيا . فان والدته ، اوليمبيا ، كانت تعرقل أعمال انتيباتر ، الذى كان الاسكندر قد عينه نائبا

له فيها . وقد أخذ الاثنان يشكوان له ، كل منهما الآخر . حتى قرر الاسكندر أن يستدعى إليه أنتيباتر ، مع ١٠٠٠٠ جندى اغريقى جديد . مع أن انتيباتر كان شيخا يتجاوز عمره ٧٠ عاما . فى الوقت الذى أنصفه فيه ، فى سلوكه بوالدته اوليمبيا . ملاحظا أن أوليمبيا تطالب الاسكندر « بأجر باهظ عن الشهور التسعة التى قضاها فى أحشائها » ! .

وقد بدا الاسكندر ، منذ ذهابه إلى سوسا ، مستبداً وقاسياً . فلم يعد يقبل المجادلة . أو ينظم المحاكمات لمن يغضب عليه . وإنما يأمر بالقتل لأوهى الأسباب . ويقال أنه قد قتل واليه على سوسيانا خنقا بيديه . وانه أمر بقتل ٤ قواد و ٦٠٠ جندى فى همدان ، لخروجهم على تعليماته . وعندما حضر كاسندروس ، ابن أنتيباتر ، إلى بلاط الاسكندر ، يحمل خطابا من والده . ورأى الفرس وهم ينحنون له . أنفجر فى الضحك . فقام إليه الاسكندر ، وأمسك برأسه بين يديه ، وأخذ يضرب به الحائط . حتى كاد يقتله ! .

ثم نظم الاسكندر ما أسماه بعرس الشرق والغرب . حيث تزوج ١٠٠٠٠ من قواده وجنوده ، فى حفل واحد ، بنساء فارسيات . قدم الاسكندر لكل منهن دوطتها . وتزوج الاسكندر فى هذا الحفل الكبير بكبرى بنات دارا الثالث : ستاتيرا Stateira . وكان قد تزوج قبلها ، على ما ذكرنا بروكسان . ابنة اوكزيراتيس . امير سوجديانا . وقد تزوج الاسكندر بعد ذلك بأميرة أخرى هى باريزاتيس Parysatis ابنة الامير أوشيس . وهذه الزيجات الثلاث ، هى زيجاته الوحيدة المؤكدة .

وفى هذا الحفل أيضاً ، تزوج هيفاستيون بشقيقة ستاتيرا : دزيبيتيس . وكراتيروس بابنة عم لها . وبيرديكاس بابنة ملك ميديا . وبطليموس وايومينيس ونياركوس بثلاث من بنات ارتابارزوس .

وجدير بالذكر ، أنهم قد تركوا جميعاً زوجاتهم الفارسيات عقب وفاة الاسكندر ! .

وفــاة الاسكنـــدر

وفى ربيع عام ٣٢٤ ق م ، ترك الاسكندر سوسا إلى المصيف الفارسى القديم ايكباتاتا . ولكنه فى منتصف الطريق بين سوسا وايكباتاتا ، عند أوبيس ، جمع جنوده ، واختار من بينهم ١٠٠٠٠ جندى . طلب منهم العودة على نفقته إلى اليونان ، مع تسلم مرتباتهم حتى يوم بلوغهم لها .

وكان الاسكندر قد طلب ، كما ذكرنا ، أن يحضر إليه أنتيباتر ، ومعه ١٠٠٠٠ جندى جديد . وقد ظن الاسكندر أنه حين يعيد مثل هذا العدد من جنوده إلى بلادهم ، فانه بهذا يسدى إلى كل منهم خدمة كبيرة .

ولكن جنود الجيش غضبوا جميعاً . وصاحوا فيه : ابقنا كلنا معك ، أو سرحنا جميعاً ! . وأذهب لغزواتك مع أبيك آمون ! .

وقد ثار الاسكندر على عصيان جنوده . ونزل من فوق المنصة التى كان يتحدث منها ، وسار بين صفوفهم مع عدد من خلصائه . وأختار من بينهم ١٣ جنديا أمر باعدامهم على الفور ! .

ثم خطبهم الاسكندر خطبة قاسية . أعلن فيها تسريحهم جميعا . وذهب إلى خيمته ، فبقى فيها طوال يومه ، واليوم التالى .

وقد ذهب جنوده إلى خيمته ، يصالحونه ، ويعدونه بطاعته . وبدأ الجنود الذين اختارهم للعودة ، يعدون عدتهم لذلك . وكان على رأسهم كراتيروس .

* * * *

وعندما بلغ الاسكندر ايكباتانا ، نظم احتفالات مسرحية كبرى . كان قد استقدم لها فرقة مسرحية من اليونان ، تتألف من ٣٠٠٠ فنان وراقص .

وقد دعى الاسكندر لوليمته ٩٠٠٠ من المقدونيين والاغريق والفرس . وزعهم الاسكندر بنفسه على مائدته . وعاملهم معاملة واحدة . وخطب فيهم . فطالبهم بأن يحكموا « معا » العالم . وأن « يفرضوا عليه السلام » .

وقد ظن بعض المؤرخين أن الاسكندر كان يقصد بخطبته هذه ، المساواة بين أبناء العالم جميعا . ولكن هذا غير صحيح . فقد أراد الاسكندر أن « يساوى بين الاغريق والفرس » فى حكم العالم . أى أن الاسكندر ، قد رفع هذين الشعبين درجة ، فوق بقية شعوب العالم الأخرى . ولكنه لم يجعل هذه الشعوب مساوية للشعبين المفضلين عنده ، وهما الاغريق والفرس .

* * * *

وفى الوقت الذى كان الاسكندر يحتفل فيه بفرقته المسرحية ، مرض هيفاستيون بالحمى (ويقال إنها كانت تيفوئيد) . وقد نصحه طبيبه ، جلوكاس ، بأن يمتنع عن الطعام والنبيذ . وأن يلازم سريره . ولكن هيفاستيون لم يستمع لنصيحة طبيبه . وما أن تركه جلوكاس ، حتى جلس هيفاستيون إلى وليمة دسمة ، وقدر كبير من النبيذ . وبعد ساعات ، اشتد عليه المرض . وما هى إلا أيام ، حتى مات .

وقد أمر الاسكندر بوقف الاحتفالات المسرحية التى كانت تجرى . ولازم جثة هيفاستيون ثلاثة أيام ، وهو يبكى فوقها صديقه . رافضا كل طعام أو شراب . وممتنعا عن رؤية أحد . ويقال انه قد أمر بقطع شعر رأسه . محاكيا فى هذا آخيل . الذى قطع شعر رأسه عندما قتل صديقه الحميم باتروكليس . كما يقال انه قد أعلن الحداد فى أنحاء امبراطوريته . وأمر بصلب الطبيب جلوكاس لاهماله !

وقد شيعت جنازة هيفاستيون فى بابل ، فى مايو عام ٣٢٤ ق م ، باحتفال رسمى كبير . وضع خلاله جثمانه فوق كومة هائلة من الاخشاب الثمينة . وأحاطه ما يوازى ١٠٠٠٠ تالنت من النفائس والقرابين والتضحيات . وعندما أحرق كل هذا ، بدأت على عادة الاغريق ، مباريات رياضية كبيرة .

ويقال ان الحداد قد استمر على هيفاستيون حتى عاد للاسكندر فى بابل ، الوفد الذى أرسله إلى معبد آمون بسيوة . وقد سأل وفد الاسكندر كهنة ذلك المعبد ، عن أفضل الطرق للاحتفال بذكر هيفاستيون . ورد هؤلاء الكهنة على الوفد ، أن آمون ينصح بأن يكرم

هيفاستيون كبطل . وأن يضحى له بانتظام .

وقد بنى لهيفاستيون فى همدان ضريح هائل ، لاتزال باقية منه صخرة كبيرة ، يطلق عليها أهل تلك المنطقة اسم « أسد همدان » . وتقصدها نسائهم للتبرك بها ، و « لمساعدتهن على الحمل » ! .

* * * *

ثم خرج الاسكندر لتأديب رجال القبائل البدائية التى تسكن الجبال المحيطة ببيرسيبوليس . وأخذ يستعد لارسال حملة على جنوب شبه الجزيرة العربية . ونظم ، بعد ذلك بأيام ، حفلا لنياركوس ، الذى كان سيخرج هو الآخر فى مهمة بحرية علمية فى تلك الانحاء .

وفى الربيع ، أراد الاسكندر أن يذهب إلى بابل . ولكن كهنة هذه المدينة خرجوا له على أبوابها . ورجوه ألا يدخلها من ناحيتها الغربية . وقالوا له : ان العلامات تؤذن بظهور مصائب كبيرة .

وقد رد عليهم الاسكندر بكلمات يوريبيدس : أن أفضل المتنبئين هم من يتنبأون بالأخبار الطيبة ! . ونصحهم بأن يزيدوا قرباناتهم وتضحياتهم لآلهة المدينة ! .

ويلاحظ أن الاسكندر ، لم يكن يهمل ، أو يبخل بشيء ، فى هذه الأمور . مادامت لا تقف عقبة فى تحقيق أغراضه . ولهذا استدار الاسكندر حول بابل ، ودخلها من ناحيتها الشرقية .

وكان فى بابل (التى قيل ان الاسكندر كان يريد اتخاذها عاصمة لامبراطوريته) وفود من جميع أنحاء العالم . فان العالم كله ، كان قد سمع به . وعرف أخبار فتوحاته . وقد أراد الحكام المختلفون أن يطمأنوا إلى

لواياه . وأن يكسبوا وده . وأن يتجنبوا كل خلاف معه . فأرسلت له قرطجنة ، والقبائل الايطالية والاسبانية ، ووسط وشرق أوروبا ، وفوداً مختلفة . محملة بهداياها . وكلماتها الطيبة .

ويقال ان الاسكندر كان قد حدد « ١٨ دازيوس » الموافق ٣ يونيه عام ٣٢٣ ق م ، موعداً لخروج حملته على بلاد العرب . وهذا رغم أن العرافين كانوا يرون ، كما سبق أن أشرنا عند حديثنا عن معركة نهر جرانيكوس ، أن هذا الشهر « شهر نحس » . وقد رفض الاسكندر فى هذه المرة أيضا ، كما سبق أن فعل فى المرة الأولى ، تأخير حملته . وطالبهم بأن يصبح الشهر السابق ، ارتيميزيوس ، شهران . أول وثان ! .

وكان الاسكندر قد أخذ يثقل من الشراب . ويقال انه فى اثناء ركوبه ، فى احدى الامسيات ، مركبا فوق الفرات . أن أطار الهواء قبعته . فنزل أحد خدمه إلى الماء ، وسبح خلفها ، حتى بلغها . ثم وضعها على رأسه ، فى عودته إليه . ومع أن الاسكندر قد قتله على الفور ، فقد اعتبر المتنبأون أن هذا فأل سيء . وطالبوه بأن يحترس لنفسه ! .

ولم يكن قد بقى على ميعاد خروج حملته إلا أياما قليلة . ولكن الاسكندر ، أثقل من الشراب . ثم صحا فى اليوم التالى متأخراً ومتعباً . وأثقل مرة أخرى من الشراب ! .

وفى صباح ٢٩ مايو ، ظهرت عليه علامات الحمى ، وهو فى حمامه . وكانت متقطعة . وقد استمرت أياما . حاول الاسكندر فى بدايتها أن يؤدى واجباته . وكان يجلس إلى أصدقائه ، ويحادثهم . ويحاول

تصريف أمور دولته . ولكن جسمه كان قد أخذ يضعف . حتى لم يعد يستطيع الكلام .

ثم شاع بين جنوده أنه قد مات . حتى سمح الاسكندر لبعض منهم بأن يمروا عليه وهو فى سريره . وأن يروه وهو فى مرضه . وقد حياهم الاسكندر ، برفع أصابعه لهم .

يقول اريان :

« وقد رفع الاسكندر رأسه ، رغم آلامه . وأخذ يحييهم ، برفع يده لكل منهم . مغمضا لهم فى نفس الوقت عينيه . بينما وقف قواده وخلصاؤه من حول سريره ، وقد أغرورقت عيونهم بالدموع . وأخذت شفاهم تتمتم ، إذ أحسوا بالنهاية القريبة : إلى أين تذهب يا اسكندر ، ولمن تترك مملكتك ؟ » .

وكان الاسكندر ، ينظر إليهم ، من دون أن يستطيع الكلام . ولكنه انتزع خاتمه من اصبعه ، رغم ضعفه ، ووضعه بنفسه فى اصبع بيرديكاس . ويقال انه قد تحامل على نفسه ايضا وتمتم : إلى الأقوى ! .

ثم شهق . ومات .

وكان هذا مساء ١٣ يونيه عام ٣٢٣ ق م . وعمر الاسكندر لا يتجاوز ، كما رأينا ، ٣٢ عاما و ٨ شهور . فى بابل . بعيداً عن مملكته ، مقدونيا ، بحوالى ٢٠٠٠٠ كيلومتر .

وبعد وفاة الاسكندر ، أصبح بيرديكاس وصيا على ابنه المرتقب من زوجته الأولى روكسان

* * * *

وقد نقل بطليموس جثة الاسكندر فى عربة جنائزية إلى منف ، بمصر . ويقال بنية دفنها فى سيوة . ولكن عندما تمت مقبرته بالاسكندرية ، وكان بطليموس قد تولى ملكها ، نقلها إليها .

ولا يزال مكان هذه المقبرة مجهولا .

تواريخ فى حيـاة الاسكنـدر

٣٥٦ ق م (حوالى ٢٠ يوليه) ولادته فى بيلا ، بمقدونيا .

٣٤٠ قيامه بعمل الوصى على العرش .

٣٣٨ اشتراكه فى معركة كيرونيا .

٣٣٦ (حوالى أكتوبر) تقلده عرش مقدونيا .

٣٣٥ خروج حملته على اليزيا وثراسيا ، وتدميره ثيبة .

٣٣٤ بداية الحملة على الامبراطورية الفارسية ، وانتصار جرانيكوس .

٣٣٣ انتصار ايسوس .

٣٣٢ حصار صور . ودخول غزة (وفى نوفمبر) مصـر .

٣٣١ وضعه أساس مدينة الاسكندرية ، بمصر . وانتصاره فى جواجاميلا ، وبابل ، وسوسا .

٣٣٠ دخول العاصمة الفارسية بيرسيبوليس ، واكباتانا . وقتله فيلوتاس ، وبارمينيون .

٣٢٩ الحملة على أراشوزيا

٣٢٨	الحملة على باكتريا ، وسوجديانا .
٣٢٧	دخوله سمرقند . وقتله كليتوس . وخروجه إلى شرقى سوجديانا . وزواجه من روكسان والمؤامرة عليه ، وقتله كالسثينز .
٣٢٦	عبوره نهر الايندوس ، وانتصاره فى هيداسبوس ، ومانجيل ديف .
٣٢٥	انتصار مالى ، والعودة عن طريق جيدروزيا .
٣٢٤	ثورة الجنود المقدونيين فى اوبيس ، ووفاة هيفاستيون فى ايكباتانا .
٣٢٣	(١٣ يونيه) وفاة الاسكندر فى بابل

امبراطورية الاسكندر من بعده

عندما توفى الاسكندر الاكبر فى بابل ، ترك من ورائه امبراطورية واسعة . تمتد من اليونان ومصر فى الغرب حتى جبال الهملايا وسهول الصين فى الشرق . وتبلغ مساحتها أكثر من ٢ مليون ميل مربع . هى أكثر انحاء العالم القديم . وتحمل ١٨ مدينة (وقيل ٣٠ مدينة) من مدنها اسمه .

وقد بقيت هذه الامبراطورية الواسعة بعد وفاته ، على وجه العموم ، هادئة . وحين قرر ٣٠٠٠٠ جندى اغريقى فى اكباتانا ، أن يحزموا أمتعتهم ، وأن يعودوا إلى اليونان . تصدى لهم القائد المقدونى بيثون ، بقوات أكثرها فارسية . وأعادهم إلى أماكنهم .

ولكن الاسكندر لم يترك ، على ما لاحظنا ، وريثا . وان كان قد ترك لاحدى محظياته (بارسين) أبنا ، لم يعترف به على الوجه الأكمل . وفى بطون اثنين من زوجاته (روكسان وستاتيرا) جنينين صغيرين . ولكننا سنجد أن الاغريق لم يستريحوا تماما لفكرة وراثة ابن « نصف شرقى » مبراطورية الاسكندر مما قوى من حظوظ شقيق الاسكندر ، المتخلف

نوعا ، أرهيدايوس ، والذى لقب بعد ذلك بفيليب ، فى الوراثة .

وكان طبيعيا ، أن تؤدى الخلافات على وراثة امبراطورية الاسكندر ، إلى إزدياد نفود القواد والولاة الأغريق . وتآمرهم ، وتنافسهم ، على ولاية العرش بينما ذهبت إلى الابد ، محاولات الاسكندر تكوين « حلف مقدس » بين الاغريق والفرس . واطماع ونفوذ القواد والولاة الفرس فى نه جيه أقدار الامبراطورية ، أو الاستئثار بشيء من مغانمها .

ويلاحظ أن بيرديكاس ، قد فرض حمايته على زوجة الاسكندر الأولى ، روكسان ، منذ البداية . وأنه لما ولدت روكسان ابنها بعد اسابيع قليلة من وفاة الاسكندر ، فرض بيرديكاس حمايته عليه هو الآخر

وقد أطلق على وليد روكسان اسم الاسكندر « الرابع » . وأصبح مع ارهيدايوس على رأس امبراطورية الاسكندر . وتألفت لجنة من بيرديكاس وليوناتوس وانتيباتر وكراتيروس للوصاية عليهما .

وقد نازع الاسكندر وفيليب ارهيدايوس ، على رئاسة الامبراطورية ، حفيدة للملك السابق فيليب ، من زوجة اليرية . هى يوريديك Eurydike ولكن أوليمبيا تصدت لها منذ البداية . وحاربتها . وأيدت حفيدها من روكسان ، الاسكندر ، من دون الآخرين .

وقد تزوجت يوريديك بعد ذلك من فيليب ارهيدايوس . ولكن آمالهما فى وراثة الاسكندرية لم تكن أبداً كبيرة .

وأما روكسان ، فقد استدعت إليها بخديعة ، وبتأييد من بيرديكاس ، زوجة الاسكندر الثانيه ستاتيرا وكانت حاملا كما أشرنا وقد ذهبت

وقد استبدت أوليمبيا بالأمور . وقتلت وعذبت كثيرين . حتى انقلبت عليها الأحوال . وسهل على كاسندروس ، عند عودته إلى مقدونيا ، التخلص منها ، فقتلها هى الأخرى . ثم تزوج من واحدة من أحفاد الملك فيليب ، المدعوة ثيسيالونيكا .

وفى ٣١٠ ق م ، قتل كاسندرورس روكسانا . وابنها الاسكندر .

وتقدم أنتيجون بأبن آخر للاسكندر ، من محظيته بارسين ، ابنة ارتابازوس . ولكن بوليبيرشون قتله !

وبهذا انقرضت تماما سلالة الاسكندر الاكبر

* * * *

وفى عام ٣٠٦ ق م ، يصبح أنتيجون ملكا . ويهاجم ابنه ، ديمتريوس ، بطليموس فى مصر . ولكن الأخير يهزمه عند غزة .

ثم يحتل سيليكوس شرق آسيا . ويوافق على انشاء مملكة هندية شرق مملكته ، لقاء مساعدة ملكها له . ويعود مع ليزيماخوس ، فيهزمان أنتيجون فى ايسوس ، فى عام ٣٠١ ق م .

ويقتسم سيليكوس وليزيماخوس آسيا الصغرى واليونان .

ولكن القلاقل تنتشر فى انحاء اليونان . حتى يسيطر ديمتريوس فى ٢٩٤ ق م على مقدونيا .

ثم يهزمه ليزيماخوس فى ٢٨٨ ق م . ويحكم مقدونيا ...

حتى يقضى سيليكوس على مملكة ليزيماخوس . ويقتله فى ٢٨١ ق م .
ثم يقتل الغول سيليكوس فى ٢٧٩ ق م

وفى ٢٧٦ ق م ، ينجح انتيجون جوناتاس ، ابن ديمتريوس ، فى تأسيس مملكة اغريقية جديدة . تستمر فى حكم اليونان حتى غزو الرومان لها .

اسطورة الاسكندر

اعتمد الكتاب ، فى رواية تاريخ الاسكندر ، على مؤرخين أساسيين . الأول هو أريان Arrian الذى ولد فى نيكوميديا حوالى ١٠٥ ميلادية . وأصبح أحد قواد الرومان . واشتهر بتاريخه عن الاسكندر . وقد اعتمد اريان بصورة مباشرة على روايتى اثنين من قواد الاسكندر . الأول هو المهندس الأغريقى اريستوبوليس . والثانى هو القائد المقدونى ، وملك مصر بعد ذلك ، بطليموس .

وأما المؤرخ الثانى ، الذى يعتمد عليه الكتاب فى رواية تاريخ الاسكندر ، فهو بلوتارخ Plutarch (٤٦/١٢٠ م) . وقد ولد فى فيرونيا . وقضى بقية عمره كاهنا فى معبد أبولو بديلفى . وقد زار بلوتارخ روما وأثينا . وربما زار أيضا الاسكندرية . وبلوتارخ بارع فى كتاباته ، مثير فى رواياته ، مبالغ احيانا فى حواره . وكثيراً ما وصف عواطف وأحاسيس من يتحدث عنهم ، بشىء من الخيال والمبالغة . وقد اعتمد عليه على وجه الخصوص شكسبير

* * * *

ومما لاشك فيه ، أن العالم القديم قد عرف السيرة الكاملة للاسكندر ، تمام المعرفة . ويقال أن يوليوس سيزار قد بكى ، حين زار قبر الاسكندر بالاسكندرية « لأن الاسكندر قد مات ، وعمره لم يتجاوز ٣٢ عاما ، وقد فتح كل هذه الممالك ، بينما « لم أحقق أنا بعد شيئا من مطامحى » ! .

ويقال أيضا أن أوكتافيوس (اوجسطس بعد ذلك) عندما زار القبر طلب اخراج جثمان الاسكندر منه كى يراه . فلما أخرج ...

« نظر إليه أوجسطس طويلا . ثم وضع تاجا من الذهب على رأسه . ونثر الورود على جسمه . ثم أمر باعادته إلى مكانه .

« ولما سأله الحاضرون إذا كان يريد رؤية جثمان بطليموس أيضا ، أجابهم : لقد أردت أن أرى ملكا . وليس أجساداً فانية » ! .

* * * *

وفى القرن الخامس الميلادى ، انتشر بالسورية والأرمنية واليونانية واللاتينية ، كتاب « غراميات الاسكندر » . ويظن أن الكتاب قد كتب بالاسكندرية فى حوالى القرن الثانى الميلادى . عن آخر مفقود ، لكالسثينز . وقد تحدث العالم القديم والوسيط بافاضة عن هذا الكتاب ، وتداول رواياته . ويقال أن العرب قد استمدوا منه أكثر معلوماتهم عن الاسكندر . فتحدث عنه علماؤهم وشعراؤهم ، ومن أهمهم الفردوسى . وأما أوروبا فلم تعرف هذا الكتاب عن الشرق ، إلا بعد الحروب الصليبية

ومما جاء فى هذا الكتاب أن المكفنين الذين ذهبوا يكفنون جسد الاسكندر بعد مماته ، قد خافوا أن يلمسوا جثمانه ، ظنا منهم أنه قد لا يكون بشراً ! .

وأن الاسكندر قد عقد اتفاقا مع الآلهة ، رضى فيه بالعمر القصير الذى عاشه على الأرض ، لقاء الخلود الذى يتمتع به بعد وفاته ! .

وقد ترددت عن الاسكندر بعد وفاته روايات كثيرة . منها أنه كان زئر نساء . وأنه قد عرف (كما أشرنا) نساء الامازون . وأنه قد ألف منهن فرقة حربية ، حاربت بين صفوفه . وانه قد غطس إلى أعماق المياه . وقدمت له أسماك البحر فروض الولاء . وأنه قد اعتبر قديسا مسيحيا . وقد صعد إلى السماء ! .

وامتدت ذكرى الاسكندر من ايسلندا إلى الهند . فأدعى بعض الملوك الأفغان والهنود ، أنهم من سلالته . وحملوا رايته الحمراء . بينما كان بحارة السفن الايجية ، ينادون بأسمه ، اذا اشتدت ثورة البحر ! .

ولما جاء العرب ، عرفوه باسم ذى القرنين . وهو اللقب الذى ألتصق به ، بسبب بنوته للآله المصرى القديم آمون . وكان يرمز لآمون بقرون الكبش المصرى . وقد جعله العرب « المنذر الأكبر » . ونسب إليه ملك اليمن « الأقرن » .

ولعظم مكانة أرسطو عند العرب ، جعلوا بينه وبين الاسكندر علاقة قوية . فقال بعضهم أن أرسطو « كان وزير الاسكندر » . وان أرسطو قد أعطى الاسكندر صندوقا مسحوراً ، « به أشكال أعدائه من الشمع » كى يتخلص منهم ، بالتخلص من هذه الاشكال ! .



هروب وحوش البحر من الاسكندر

وقيل أيضا أن أرسطو قد أعطى الاسكندر « الحجر العجيب » و « نهر الخلود » لتحقيق أغراضه ! .

ومما قاله المسعودى عن الاسكندر ، انه حين ذهب لبناء مدينته بمصر أن دواب البحر ، قد تصدت له . وهى شياطينه البحرية الضخمة . فمنعت ما أراده من اتصال شاطىء البحر بجزيرة فاروس ! .

يقول المسعودى :

« فاتخذ الاسكندر تابوتا من الخشب . وفى باطنه صندوق من الزجاج . وغاص بهما إلى قعر البحر . ورسم صور تلك الدواب الشيطانية كما رآها . ثم عمل تماثيل لها من المعدن . ونصبها حذاء البنيان . فلما خرجت تلك

الدواب ، وعاينت تماثيلها ، فرت منها . وتم للاسكندر بناء مدينته » !

وقد وصف ابن خلدون فى مقدمته حديث المسعودى ، بانه « حديث خرافة مستحيلة » . وأضاف :

« ان المنغمس فى الماء ، ولو كان فى صندوق ، يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعى . وتسخن روحه بسرعة لقلقه . فيفقد صاحبه الهواء البارد ، المعدل لمزاج الرئة والروح القلبى . ويهلك مكانه . وهذا هو السبب فى هلاك أهل الحمامات ، إذا أطبقت عليهم من الهواء البارد . والمتدلين فى الآبار والمطامير العميقة المهوى ، إذا سخن هوائها بالعفونة ، ولم تداخلها الرياح فتخلخلها . فان المتدلى فيها يهلك لحينه » .

* * * *

وكانت مقدونيا هى « الدرع الشمالى » لليونان . التى تحميها من غارات القبائل الثراسية والاليرية وغيرهما . ولكن الاغريق لم يعترفوا قط للمقدونيين بفضلهم . بل ولم يعتبروهم اغريقا مثلهم . ونظروا إليهم نظرة استعلاء . وتوجسوا ، فى تقديسهم للديمقراطية ، من استبداد نظامهم . وتطلعاتهم الامبراطورية .

وقد مهد فيليب الأحوال للاسكندر بشيئين هامين . الأول هو تثبيت فكرة محاربة الفرس فى أذهان الاغريق وتكوينه حلفا من بينهم ، أصبح قائداً له لهذا الغرض والثانى هو اقامته جيشا مدربا وقويا ، كان أفضل

جيوش ذلك العهد . وقد قيل أن الاسكندر لم يكن يستطيع ، عندما خلف والده فى حكم مقدونيا ، وقيادة حلف كورنثيا ، إلا أن يمضى فى نفس الطريق الذى رسمه له والده . لأن الجيش كان يكلف مقدونيا مصروفا باهظا . لم تكن تستطيع الوفاء به ، إلا بالمضى فى حروبها ، ونهب أموال من تتغلب عليهم .

ومع تجانس الأمة الاغريقية بوجه عام . وجد الاسكندر الامبراطورية الفارسية أمة غير متجانسة . فالحكام الفرس لم يكونوا يستطيعون الحديث مع رعاياهم ، سواء شفاهة ، أو كتابة صحيحة . وكانت هذه الامبراطورية ، كما أشرنا ، فى انهيار ، سببه الفساد ، وفداحة الضرائب . ولم يكن ملكها ، دارا الثالث ، هو أفضل من تولى عليها . وعلى العكس من ذلك ، نجد أن الاسكندر كان أحد الفلتات التاريخية . وقد قيل أنه كان مقدراً له البروز ، مهما كانت الأحوال التى تصادفه ، والزمان والمكان اللذين عاش فيهما ! . وانه كان له نظرات ثاقبة و « ملهمة » بعيدة المدى . وكان تخطيطه الاستراتيجى تفصيليا وواعيا . بالاضافة إلى قوة اراداته . وصلاحيته الكاملة لقيادة من يتولى عليهم .

وقد انتفع الاسكندر ، سواء فى جيشه ، أو فى المجتمع الذى أقامه من حوله ، بكل جديد فى زمانه . فكان معه مهندسون عظام . أقاموا الجسور . وصنعوا السلاح . واستخرجوا المعادن من المناجم . وكلها مهام ، كان فيليب قد وجه اليها عنايته السابقة .

كذلك رافق الاسكندر أطباء ، وجغرافيون ، وعلماء نبات وحيوان الخ وتبع فى رحفه فى آسيا ، الطريق الذى تحدث عنه هيرودوت وزينوفون

وإلى جانب الطرق والأسواق التى شيدها ، أقام مدنا برية وبحرية هامة . وتبعه تجار أغريق . سك لهم نقوداً جديدة للتعامل . وأنتقلت الثقافة والعلوم الاغريقية إلى انحاء العالم القديم . وترسخت فيها قرونا طويلة بعد ذلك .

ويقال أن أرسطو ، كان قد نصح الاسكندر يوما : ان من السهل أن تنشيء امبراطورية كبرى بالمعارك . ولكن التجارة وحدها هى التى تبقيها متماسكة .

وقيل ان الاسكندر كان يجتمع بصفة منتظمة بالتجار الذين يرافقونه ، وتجار البلاد التى يدخلها . ويستمع إلى شكاواهم ومطالبهم ، ويحققها لهم .

وانه كان من أوائل من أهتموا بالخرائط . وقد ظلت الخرائط التى وضعها معمولا بها حتى زمن ماركوبولو .

* * * *

وكان الاسكندر يؤمن ، على عادة الاغريق ، بآلهة اوليمب الاثنى عشر . وعلى رأسهم تزيوس . ولكنه عندما جاء إلى مصر ، وقع تحت تأثير كهنة آمون . وكانت العلاقة بين آمون وتزيوس كبيرة . فأصبح ابنا لتزيوس/ آمون . ولقب بذى القرنين .

ويقال ان الاسكندر لم يكن مقتنعا تماما بذلك . وانه كان يتندر مع أصدقائه حول هذا الموضوع . ويقال أنه عندما جرح فى إحدى المرات ، قال له اصدقاؤه : هذا هو الدم الالهى « ايشور Ichor » الذى أشار إليه هومر ! .

وأنه عندما أبرقت السماء فى إحدى المرات ، قال له انكساركوس : لماذا لا تفعل لنا شيئا مما يفعله الآن تزيوس ؟ ! .

ويقال أن ليونييداس كان من أكثر أصدقاء الاسكندر تندرًا فى هذا الموضوع .

ويلاحظ أن الآلهة عند الاغريق « لم يكونوا فوق البشر » . كما أنهم لم يكونوا « بمعصم عن أخطاء البشر » . وأن من آلهتهم « الذين ولدوا على الأرض » هرقل ، ودايونيساس ، واسكيلوبياس . وقد بلغوا جميعا ألوهيتهم بقوتهم وأعمالهم .

وكان الاسكندر قد تتلمذ على أرسطو . وتشبع بفلسفته « الروحية » . ولكنه منذ بنوته لتزيوس/ آمون ، أخذ يبتعد عنه . حتى ظهرت فى اليونان مدرسة « أرسطية » مناهضة للاسكندر . تبناها فى معسكر الاسكندر ، ابن اخيه كالسثينز .

وقد اشتدت مناهضة هذه المدرسة للاسكندر ، حين مد بعد ذلك حدود امبراطوريته إلى فارس . وأخذ يطلب إلى من يمثل أمامه ، أن يركع له . ويتبرم بجدل أصحابه حول أقواله . ويقسو عليهم فى العقاب من دون محاكمة .

وكانت فلسفة الامبراطورية الفارسية تقوم على وجود « درجات مختلفة » بين الناس . تتدرج من الملك إلى العبيد . وبينما يعيش أصحاب الطبقة العليا فى القصور والحدائق « بnaراديزو » . ويتمتعون بالرياش والثياب ويفرطون فى تناول أفضل الأطعمة . ويجمعون حولهم الزوجات والمحظيات والجاريات يعيش الخدم والعبيد فى العَراء

ولا يجدون الثياب ، أو الطعام . ولا يرون النساء . ومع هدا ، فانهم إذا كشفوا عن جسمهم . اقترفوا جريمة . والعقاب يجب أن يكون قاسيا ورادعاً ! .

وكان صاحب كل درجة عليا ، يلقب من يليه فى الدرجات ، بالعبد Mana Bandaka .

بينما كانت الحياة تعتمد فى اليونان على بساطة العيش . وعلى شىء مس المساواة ، والحرية . وتقوم على ضمانات ، تحققها عدالة المحاكمة .

ويلاحظ أن الاغريق كانوا يلقبون أبناء الدولة الفارسية بالبرابرة . ولكن الرومانيين اعتبروا الاغريق بعد ذلك « شرقيين » . ولاموهم على افراطهم فى الشراب على وجه الخصوص ، واقتناء الجاريات والخصيان !

وقد أشرنا إلى أن الاسكندر لم يفرط فى بداية حياته فى الطعام أو الشراب أو الجنس . ولكن من بين المؤرخين ، من يجد علاقة شاذة بينه وبين هيفاستيون . حتى قال احدهم : ان الاسكندر لم يهزمه فى حياته غير ساقى هيفاستيون ! .

وكان السياسى الاغريقى ثيوبومباس ، قد كتب بعد زيارة له للبلاط المقدونى . انه قد لاحظ انتشار هذه العادة فيه ! .

وقد عرف أرسطو هيفاستيون . وأهداه كتابا من خطاباته .

ثم عرف الاسكندر فى آسيا عدداً من المحظيات . من بينهن ، على ما أشرنا ، بارسين . أبنة أرتابازوس . ويقال أنه قد عرف أيضاً عدداً من الخصى والأمازونيات ! هذا إلى زيجاته الثلاث المعروفة ، بروكسان وستاتيرا وباريزاتيس

وقد حاول الاسكندر على ما رأينا ، وكما يقول بلوتارخ ، أن يسيطر على العالم المعروف فى زمانه . و « كان يريد أن يجعل له آلها واحداً » . ربما كان هو آمون . أو تزيوس/ آمون .

ولكن ابناء هذا العالم لم يتساووا تماما أمام ناظريه . بل أراد الاسكندر أن يقيم عليهم « جنسا سيداً » . هو الجنس الاغريقى/ الفارسى . وقد انتهت هذه المحاولة بموته . وعاد الاغريق بعد وفاته يرون فى أنفسهم أسيادًا وحيدين .

* * * *

وقد حيكت حول الاسكندر عدة أعمال أدبية هامة .

أولها الملحمة الفرنسية « الاسكندرينى Alexandrine » التى تدور حول غراميات الاسكندر . ويظن أنها قد كتبت بالفرنسية فى القرن الثانى عشر . وقد ترجمها إلى الانجليزية فى القرن السادس عشر دريتون Drayton . وقدمت على المسرح الانجليزى . ولكنها لم تنجح مثل نجاحها على المسرح الفرنسى .

والثانية هى درامة الدرامى والشاعر الفرنسى جان راسين Racine (١٦٣٩/١٦٩٩) التى قدمها فى عام ١٦٦٥ . وقد ترواحت صور « الاسكندر الاكبر Alexandre le Grand » فيها بين الحب والحرب والمؤامرة .

وقد أبدى فيها راسين ، على لسان الاسكندر ، الاعجاب بالملك الهندى بوراس الذى أضطر للتسليم للاسكندر بعد خيانة اصحابه له .

وفى كوميديا السياسى والشاعر والدرامى الانجليزى جون ليلى Lyly (حوالى ١٥٥٤/١٦٠٦) « الاسكندر والكامباسب Alexander and Campspe » تناول ليلى حياة وغراميات وحملات الاسكندر .

فهرس

الصفحة

